الليبرالية الضائعة

الطبعة الأولى

ذو الحجة ١٤٢٧ هجرية

ديسمبر ٢٠٠٦ ميلادية

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

الموضوع	الصفحة
■ مقدمة	٧
■ الليبرالية الضائعة	٩
■ كفاية يا أخ أحمد	١٥
■ لبنان والليبراليون	١٩
■ الليبراليون والواقع السياسي	٢٦
■ شبهات البليهي	٣١
■ لا تحتكموا إلى الدستور	٣٦
■ في البدء كان الحوار	٤٢
■ الحوار الإسلامي الليبرالي	٤٩
■ أمور نتفق مع العلمانيين فيها	٦١
■ صفقة مع الليبراليين	٦٤
■ العلمانية تحارب الله	٦٦
■ أوهام التطور الفكري	٧٤
■ الليبرالية سراب	٧٩
■ الليبرالية والاتجاه المعاكس	٨٥
■ الليبرالية الحديثة	٩٣

■ حالة ليبرالية صعبة ٩٨

■ الليبرالية والمصلحة ١٠٥

■ الليبرالية والقيود الذهبية ١١٠

■ عقلك يخدعك ١١٦

■ العقول الضائعة ١٢٢

■ الطفيليون من المثقفين ١٢٨

■ من أين جاءت مبادئك ١٣٠

■ العلم يتبرأ من العلمانية ١٣٣

■ الدين والعلمانية ١٣٨

■ خدعوك يا شرويدر ١٤٧

■ أخطر من المخدرات ١٥٣

■ العلمانيون والإسلام المجهول ١٥٦

مقدمــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سـيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله.

أمــا بعد : يسـلط هذا الكتــاب الأضواء علــى الليبرالية مــن زوايا مختلفة ســواء كانت فكرية أم سياسية أم اجتماعية وحقيقة الليبرالية أنها مدرسة من المــدارس الفكريــة العلمانية ولهذا تطرقت في هذا الكتــاب للعلمانية بصورة مباشرة كما أوضحت أن هناك عدة معانٍ لليبرالية فلا يوجد في الحقيقة اتفاق على معنى واحد كما هو الحال مع العلمانية وتتشابك وتختلف معاني الليبرالية في عقول الناس بدرجة أكبر فنجد مسـلماً يقول أنا مسلم ليبرالي ولست مسلماً علمانياً وهناك المسيحي الليبرالي وهناك من هو ليبرالي في أفكاره السياسية فقط وهناك من يعتبر الليبرالية هي حرية الرأي وحرية التجارة وليسـت شيئاً أكثر من ذلك وعندما يتم التطرق إلى الفكر والواقع فلا بد من الكلام عن الحق والباطل والعدل والظلم والعقل والعلم والدين والفلسفة والاتفاق والاختلاف .....الـخ . وما أدعو له دائما هو الرجوع لجذور العقائد والمبادئ والتعرف على الحق من الباطل فيها وإلا سيصعب حل اختلافاتنا وسيتحول نقاشنا إلى جدل فلابد من حل الاختلاف الفكري أولا ثم نتطرق بعد ذلك إلى عالم السياسة وحياتنا الاجتماعية والإصلاح والفســاد والمستقبل والحاضر والتاريخ وقد تطرقــت للفكر في كتابي (عجز العقل العلماني) والــذي أعتبره عملية جراحية كبيــرة في العقل البشــري وفهمــه للدين والفلسـفة والعلمانية والرأسـمالية والشيوعية والعلم المادي والحرية والعدل ....الخ .

وكنت ولا زلت مقتنعا بأن كثيرا من الحقائق الفكرية والواقعية سيمكن الوصول إليها إذا تناقش المخلصون بأسلوب صحيح ولفترة طويلة إذا كان أطراف الحوار من أهل العلم والثقافة والموضوعية ولكن المشكلة أن كثيرا ممن يدخلون في النقاش ليسوا مخلصين أو ليست فيهم صفات الموضوعية .

وفي الختام أشكر كل من ساعدني في إنجاز هذا الكتاب وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجزيهم خير الجزاء وأن يجعل عملي خالصا لوجهه الكريم وأسأل كل من انتفع بشيء منه أن يدعو لي ولوالدي وللمسلمين أجمعين .

عيد بطاح الدويهيس

الكويت في ١٩ شوال ١٤٢٦ - ١٠ نوفمبر ٢٠٠٦ م

الليبرالية الضائعة

قــال الأخ العزيز أحمــد الصراف في مقال له بعنوان " الشــار ع الكويتي والنازي"بجريــدة القبس بتاريخ ١٦ أبريل ٢٠٠٦ " كلمة liberal المشــتقة من كلمة الحرية، والتي تشــمل حرية المعتقد والكرم والتسامح وعدم التعصب لفكرة ما وتأييد النظم الديمقراطية والاقتصادية والمناداة بالحرية الفردية".
كنت ولا زلت أقول إننا يجب أن نركز أولا على العقائد والمبادئ قبل أن نتكلم عن الواقع السياسي أو غيره وإذا فعلنا ذلك ووصلنا إلى العلم والحقائق فإنه يســهل معالجة الواقع إذا صدقت النوايا فالإنســان يتعلم الطــب قبل أن يبدأ بمعالجــة الأمراض وقال تعالــى " فاعلم أنه لا إله إلا الله واســتغفر لذنبك" وقــال علماؤنا " العلم قبــل العمل" وأقول: التعريف الــذي ذكره الأخ أحمد عن الليبرالية لا يزيد عن ســطرين وهو يحدد ملامح الليبرالية الرئيســية وهي بالتأكيد فكــر جزئي وفيها درجة من الغموض في معاني الحرية والتســامح والحرية الشــخصية وهي في كل الأحوال لا تصلح لبناء فرد ناهيك عن مجتمع و دولــة لأن الفرد يحتاج إلى عقائد توضــح علاقته بالخالق وصفاته ولماذا خلقــه؟ وما هــو موقفه من أمور كثيــرة كالعقائد الباطلــة والتعصب العرقي والفســاد الأخلاقي والغرور والجدل...الخ ؟ وبالتالــي فالليبرالية لا تصلح لأن تكــون فكــرا أو نظاما لدولــة أو حزب أو فرد وعلى ســبيل المثال يمكن أن أقترح مبــادئ مثل الحب والتعــاون والعمل الجــاد والرحمة والتواضع والتكافل الاجتماعي وأســمي هــذه المبادئ "المحبة" ثم أدعي أنها ســتصلح أحــوال الناس فالشــمولية والوضوح أمور مطلوبة وبالتالي وصف إنســان بأنــه ليبرالي عملية غير صحيحة فكريا وماذا يقول الأخ أحمد عن بقية مبادئ

الليبرالــي هل هو مؤمن بالله سـبحانه وتعالى وبمحمـد ﷺ أم هو زنديق أو ملحد؟ وهل الليبرالي يحب العفاف والأخلاق الفاضلة أم يشـجع على الفسق؟ وهــل الليبرالي يؤمن بفصل الدين عن الدولة كالعلماني أم يرفض ذلك؟ أم إن الليبرالية لا فرق عندها بين المؤمن والكافر فهذه قضايا هامشـية لا تسـتحق أن نهتم بها؟ فهذه أسـئلة هامة جدا وأساسية ويجب أن يحدد الليبرالي موقفه منها بوضــوح وبصراحة فلا مجال في الفكر والمبــادئ للغموض ناهيك عن الكذب والخداع وإذا كانت الليبرالية إسلامية إن صح التعبير فلا مشكلة عندنا فــي قبولها وبالتالي لا معنى لأن يكون هناك اتجاه إســلامي واتجاه ليبرالي وليس صحيح أن كل أو حتى أغلب الاتجاه الإسلامي متطرف ومتشدد بل أغلبه معتــدل بدليل أن علماء الإســلام معه. أما إذا كانت الليبراليـة مظلـة يسـتظل بهـــا بعض من يعادون الإســلام وأهله فلا شــك أن المطلوب مــن الليبراليين المســلمين أن يبعدوا عن صفوفهم الليبراليــين العلمانيين الذين خطرهم لا يقل عن خطر الإســلاميين المتطرفين على الاتجاه الإسلامي والمسلمين وإذا سلطنا الأضــواء على بعض ملامح أغلبية الليبراليــين الكويتيين اليوم لوجدناهم أهل الجدل والانتقاد الشـديد للاتجاه الإسلامي بكافة أطيافه وهم المدافعون عن الاختــلاط والحفــلات الراقصة وقد أعلنوا انســلاخهم عــن العروبة والولاء لأمريكا والدوران في فلك الحكومة خاصة بعد سـقوطهم الكبير في انتخابات ٢٠٠٣ وأصبحوا ضد الجهاد في فلسـطين والمقاومة في لبنان وهذا التراجع والتناقض هو في المبادئ الأساسـية لليبراليين وليس في المواقف والتطبيق والاجتهــادات ويبررون ذلك "بالواقعية" والواقعيــة بريئة من ذلك . وقال الأخ العزيــز أحمد: " كــون الطرف الآخر" الإســلامي "المعــادي لليبرالية

وقضايا التحرر والديمقراطية في الكويت أكثر تنظيما وجذبا للشـارع، فهذا لا يعنـي بالضرورة أن التيار المعادي لليبرالية فـي الكويت على حق" وقال "فعدد الأحزاب الليبرالية"، إن وجدت مقارنة بأكثر من مائة وخمسين جمعية وهيئة ولجنة دينية مسيسة حتى النخاع أمر مثير للعجب وأقول للأخ أحمد: نعم الحـق لا يقاس بالكثرة ولا يقاس بالقوة ولكن أرجـو أن يتذكر أن الليبرالية ليست قائمة علـى "الحق" "بل قائمـة على النسبيـة والحلول الوسط والتصويت وليـس العلم الفكري والعقل وبناء على ذلك تحدد مبادئها ومفاهيمها للحرية والعقوبـات والأعـداء والأصدقـاء ومصالح الشـعب والمسـاواة والعدل. ونقـول له كما قال الإمام علي ابن أبـي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ" اعرف الحق تعرف أهله "العلمانيـة والليبراليـة لا يعترفـان بوجود حق مطلق بل تقولان مـا يوجد هـو أراء تحتمل الصواب والخطأ فالحق عند الليبراليين هو ما يقرره الشـعب فـإذا قرر الشـعب ما لا يقتنعون به قالوا نريد الحـق أما القول بأن الأبواب مفتوحة للاتجاه الإسـلامي ومغلقة في وجه الاتجاه الليبرالي فأقول الاتجاه الإسلامي اتجاه فطري وعقلي سليم وهو دين وتاريخ ومستقبل الشعب والأمة فمـن الطبيعي أن يكون قويا فهو موجود منذ ألف وخمسـمائة سـنة ومقبول شعبيا أما الليبرالية ففاشـلة فكريا وخاسرة شعبيا وكثيرا ما تعرض الاتجاه الإسـلامي المعتدل والمتطرف لحروب من أنظمة حكـم وقوى أجنبية ووضع عشـرات الآلاف من الإسلاميين فـي السـجون في حين أن الاتجاه الليبرالي لم يتعرض حتى إلى واحد فـي المائة مما تعرض له الاتجاه الإسـلامي لأنه ليس له شـعبية وقوة حتى لو فتحت له كل الأبواب وسـاندته أمريكا وأوربا وهذا هو الأمر المثير للعجب والأغلبية السـاحقة من الليبراليين والعلمانيين ليسـت

على استعداد للتضحية في سـبيل مبادئها بل إن أنصارها ليسوا على استعداد حتى لنشـرها. ولهذا لـم يبذلوا الجهد في تنظيم أنفسـهم وفـي الاتصال مع القواعد الشعبية وأجزم بأن اتصال الليبراليين الكويتيين بالقواعد الشعبية في المناطق الخارجية شـبه منعدم خلال الثلاثين سنة الماضية وأصبح الهدف الرئيسي لهم الحصول على مناصب في مجلس الأمة أو الحكومة وبهذا المعيار فقط يقيسون جدية الإصلاح وأضيف إلى ذلك لماذا استخدم الأخ أحمد عبارة الأحـزاب الليبراليـة إن وجدت والجـواب في اعتقادي هـو أن تناقض أراء ومواقـف الأحزاب الليبراليـة تجعل كثيراً من الليبراليـين يتبرؤون منها بل كثير مـا يتبرأ الليبرالي من ليبراليين آخرين فيقول هـذا لا يمثلنا ومبادئه أو مواقفه نرفضها ومثل هذا التفرق لا يؤهلهم للتعاون الجاد وللوحدة ناهيك عن الاستمرار والإنجاز ومواجهة مشـاكل مجتمعاتنا من جهل وكسل وعنصرية وفساد مالي وإداري...الخ وليعلم الليبراليون أنه ليست لهم مفاهيم تحدد من هو الليبرالي الحقيقي ومن الكاذب لأن أي ليبرالي يستطيع تبرير مواقفه سواء مـع احتلال أو ضده ومع ظلم أو ضده وهكذا لأن الليبرالية قائمة على الظنون والضبابية لا الحق الواضح واسـتخدام الأخ أحمـد عبارة الأحزاب الليبرالية إن وجدت يدفعنا للقول هل من يسـمون ليبراليين في الكويت ليسـوا ليبراليين كمـا يعتقد أيضا الأخ عبد اللطيف الدعيج وماذا هم إذن؟ هل هم أهل مصالح؟ أرجو أن تكون الإجابة محددة.

وقال الأخ أحمد " أما كون الشارع يميل إلى هذا الاتجاه" الإسلامي "دون غيره فلا يعني هذا صحة الاتجاه من عدمه، فالجماهير عادة ما تقاد بأهوائها وليس بعقولها وللدعاية الذكية تأثير على تصرفاتها، ولو كانت ميول الشارع

تمثل الحق والصواب دائما لما دانت "شوارع" ألمانيا لنازية هتلر، وشوارع إيطاليا لفاشية موسليني، وشوارع العرب لناصر في أكثر من معركة وفكر خاسر". وأقول للأخ أحمد لا أدري لماذا تدعو إلى الديمقراطية خاصة وأنك تعلم أن الجماهير "عادة" ما تقاد بأهوائها وليس بعقولها؟ وأرجو ألا يكون جوابك كما أجاب تشرشل بأنها أفضل النظم السيئة ولماذا نقبل أن تكون الديمقراطية "تصويت الجماهير العاطفية" كما يطالب الليبراليين المنبع الذي يحدد لنا مبادئنا الفكرية والسياسية والاجتماعية؟ والطريف أن الليبرالية هي فعلا صناعة إعلامية وليست علمية فشعاراتها وأهدافها تبدو جميلة ولكن لو تعمقنا فيها عقليا وليس عاطفيا لوجدنا كثير من مبادئها خاطئة علميا فالتسامح كلمة لها معاني كثيرة متناقضة وكذلك حرية الرأي والحرية الشخصية وتحاول الدعاية الأمريكية الذكية ليلا ونهارا تسويقها حتى تكون حصان طروادة بعد أن فشل تسويق العلمانية فميزان الدعاية الذكية يميل بشدة نحو الليبراليين لا الإسلاميين لأن أمريكا وهي دولة عظمى تدعمهم إعلاميا وسياسيا وثقافيا وتعليميا وندعو لديمقراطية أو شورى لأهل العلم والمتخصصين و ذوي الخبرة والإخلاص أي أهل القوة والأمانة وهذا هو ما يدعو له العقل ولكن الديمقراطية التي يطالب بها الليبراليون هي ديمقراطية للكبير والصغير والرجل والمرأة والعالم والجاهل والأمين والفاسد. فالله سبحانه وتعالى علمنا بالإسلام كيف نبني دولنا على علم وبصيرة وبين لنا أنه ليس بالجانب السياسي وحده يعيش الإنسان فلا بد من الجانب العقائدي والجانب الأخلاقي والجانب الاجتماعي فهذه أعمدة أساسية جدا لا نجد لها

وزنـــاً في أدبيات ومقالات الليبراليــين إلا ما ندر ويكفي أن نتذكر قول أحمد شوقي رحمه الله :

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ومــن الاحتمـــالات الموجــودة أن الليبراليين فشــلوا فـــي مخاطبة عقول الجماهيــر وكذلك في مخاطبة عواطفهــم كما أن اتهام الجماهيــر بأنها تتبع عواطفها فيه تلميح بأن الأخ أحمد لديه وكالة العقل فيمنحه لمن يشــاء ويمنعه عمن يشاء ولماذا لا يدرس احتمال أن الجماهير تتبع عقلها وأن الليبراليين هم الضائعون أي لم يستخدموا عقولهم بطريقة صحيحة ومن الأدلة على ضياعهم أنهم يبالغون كثيرا في وزن الديمقراطية ويحملونها أكثر مما تحتمل وكم من عقائد ومبادئ كان فشــلها بســبب زيادة الجرعة أكثر من اللازم للأخلاق أو العبادة أو السياسة أو الاقتصاد أو المساواة أو الجهاد أو للسلطة أو غير ذلك وهذا ينطبق على المبادئ الدينية وغير الدينية أيضا.

كفاية يا أخ أحمد

كتب الأخ العزيزأحمد الصراف في القبس مقالا بعنوان " شكرا للعلمانية " وذلك بتاريخ ١٢ يوليو ٢٠٠٥ وانتقد فيه الذين يكتبون الكتب والمقالات في ذم العلمانية ولأنني أحدهم فأجدني مضطرا للرد على ما قال من خلال ما يلي :-

١- استشهد الأخ العزيز في بداية المقال بقول كونداليسارايس وزيرة الخارجية الأمريكية والتي قالت " لستين عاما فضلت حكومة الولايات المتحدة مبدأ استقرار دول منطقة الشرق الأوسط على حساب مبادئ الديمقراطية فيها ولم نتمكن من تحقيق شئ ونحن الآن بصدد أخذ طريق مختلف" وأقول من الغريب أن يصدق الأخ أحمد هذا الكلام لا أفعال أمريكا وحقائق الواقع ومنطق العقل لأن أمريكا " العلمانية الذكية" لاتحتاج إلى ستين عاما حتى تعرف أنها لم تحقق شيئا والأقرب للعقل أنه ليس من مبادئها ومصالحها نشر الديمقراطية وهذا ما يثبته الواقع في الشرق الأوسط وفيتنام وأمريكا الجنوبية والعراق وغوانتاموا وغيرها والأخ أحمد يحسن الظن جدا في نوايا وأفعال وأقوال أمريكا والعكس تماما يفعله مع الإسلاميين ولو كان كلام أمريكا صادقاً أو حتى مقبولاً فلنقل أن صداماً كان يفضل الاستقرار على مبادئ الديمقراطية وحقوق الإنسان خلال الثلاثين سنة التي حكم فيها فلماذا تعاديه أمريكا؟ وعموما لم ولن تحدث الديمقراطية في العراق وأفغانستان بل أصبحت أوضاعهما

لا أمن ولا استقرار ولا ديمقراطية ولن تحدث كذلك الديمقراطية الحقيقية في الدول ذات العلاقات القوية مع أمريكا في الشرق الأوسط وإذا كان الأخ أحمد مقتنعاً بأن أمريكا دولة مبادئ فأرجو أن يتذكر الأكاذيب الأمريكية بشأن أسلحة الدمار الشامل العراقية واليورانيوم الأفريقي وعلاقة العراق بالقاعدة وليتذكر أيضا قتل أكثر من خمسين مليوناً من البشر في الحرب العالمية الثانية وفي الجزائر وفي فيتنام لأن هذا الفعل حدث بأيد علمانية فأمريكا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا دول علمانية وليتذكر أن الدول الاستعمارية خلال الثلاثة قرون الماضية هي دول علمانية وليس دينية ثم لنقل بعد ذلك شكرا للعلمانية.

٢- اعتبار تحقيق السلام في السودان انتصار للعلمانية التي حقنت دماء ملايين المسلمين أمر غريب لأن من قتل من المسلمين وغير المسلمين نتيجة تمرد الجنوب حدث نتيجة الدعم العلماني الأمريكي الذي دعم التمرد وشجعه على الاستمرار وقبول شعب السودان بشروط الاتفاق تم نتيجة الاضطرار والضغط فالسلام المجحف أقل شرا من استمرار الحرب والقتل والدمار فالنظام السوداني كان يواجه حربا من أمريكا لأنه يريد أن يكون حرا ألستم يا أخي تؤيدون سيادة الدول وأنت يا أخي أحمد قلت أن الاتفاق الحالي يعطي الحق لرئيس غير مسلم وغير عربي بأن يحكم شعباً أغلبيته من المسلمين وهذا شرط مجحف ويتناقض مع مبادئ الديمقراطية ومع منطق العدل والعقل والواقعية.

٣- إذا كان الجنوب السوداني يرفض تطبيق الشريعة الإسلامية أو أي

قوانين أو قرارات للحكومة الســودانية أو لأغلبية الشعب السوداني فالحل هو الحوار والتغيير السـلمي والاحتكام للشعب لا حمل السلاح وقتل الناس ولماذا لا يســمى هذا إرهاباً وليس صحيحاً أن الحكومة الســودانية كانت ترفض الحــوار والتفاهم اللهــم إلا إذا كنا نصدق الإعــلام الأمريكي ولا شــك أن الســودان دولة فقيرة ولا توجد مصالح حقيقية للشــعب السوداني كله في الحرب فالســودان ليس فيه ما يستحق الصراع فهو يشكو من تخلف كبير في المدن والطرق والتكنولوجيا والصحة والصناعة ....الخ فالحرب فرضت على الســودان من قبل العلمانية الأجنبية ولو حدث تمرد في جنوب الولايــات المتحدة لتم قمعه بالســلاح فورا بل حتــى بالقنابل النووية كما حدث في حربها مع اليابان ولو ساعدت دولة أجنبية التمرد لأعلنت أمريكا عليها الحرب ولكن الســودان بلد فقير وضعيف ومســلم فلا يحق له ما يحق لأمريكا.

٤- معروف عن الشعب السوداني بأنه متسامح دينيا وسياسيا وأن العلاقات الاجتماعيــة بين أبنــاء المجتمع قويــة وأن مســاحة حرية الــرأي كبيرة والســودان من المجتمعات القبلية وهذا بحد ذاته يفرض عليه درجة كبيرة من الاســتقلالية والحرية والعدالة الاجتماعيــة وكان جون قرنق ضابطاً في الجيش السوداني مع أنه غير عربي وغير مسلم وهذا يثبت درجة كبيرة من العدالة الوطنية والجغرافية وبالتأكيد إن تطبيق الشريعة لن يؤدي إلى اضطهاد الأقلية غير المســلمة ولكن من يريد إشعال الحرب سيجد ألف سبب لذلك وخاصة إذا وجد دعماً كبيرا "وبالدولار" من الخارج فالقضية ليست

صراع عقائد ومبادئ والظن بأن العلمانية هي التي ستحقق الحرية والعدل والمساواة ظن خاطئ لأنها مرفوضة كليا من المسلمين وهم الأغلبية في السودان ولأن العلمانية فكر متخلف ومتناقض قائم على الظنون والشعارات والأحلام والكفر والفسق والزندقة ويتطلب البناء والإصلاح والصراط المستقيم حقائق فكرية ونوراً وهداية من الله سبحانه وتعالى قال تعالى: ﴿ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾.

٥- أتمنى يا أخي العزيز أن نسلط الأضواء على العلمانية وما هي الأدلة التي تستند إليها ؟ وما هو نصيب هذه الأدلة من العلم؟ لأن خلط العلمانية بواقع السودان أو أمريكا أو غيرهما سيؤدي إلى اختلاف وجهات النظر واختلاف الموازين التي نستخدمها واختلاف نصيب كل واحد فينا من المعلومات الصحيحة وغير الصحيحة فخلط العلمانية بالدول والواقع بالمبادئ والحاضر بالتاريخ والأفراد بالعقائد سيؤدي إلى خلط الأوراق وتشعب الحوار وضياعه فلنسلط الأضواء على حقيقة العلمانية كمبدأ وأفكار وسنعرف أن العلمانية ليست العلم المادي ولا العلم الفكري وأنها لن تحقق العدل ولا الحرية ولا المساواة وأنها منبع الاختلاف والتناقض وأنها الامتداد للفلسفة والفلاسفة والضياع والضلال ويا ليتك تصدق ربع ما أقول خاصة وأنك تصدق كل ما تقول أمريكا.

لبنان والليبراليون

قـال الأخ عبد اللطيف الدعيج في مقالـه بالقبس بتاريخ ١٦ يوليو ٢٠٠٦ "دعم المجاهدين والدفاع عن فلسطين وحرب اليهود "ثوابت" مع الأسف في الوعي العربي إن جازت كلمة وعي – ليس من السـهل على العربي أو المسلم الفـكاك منها" وقال "الأمل كان أن يكون أكثر حـدة وأكثر وضوحا وأكثر صرامة في انتشال الإنسان العربي من أوهام التحرير وأحلام مقارعة العدو وأمـراض التفوق على الغير أو التصدي له" وقال "مقاتلو حزب الله يتخفون بين المدنيين والمنازل كي يستصرخوا العالم" وقال "وكفانا تضليلا ومزاعم عن الشـجاعة والجهاد" وأقول كلام الأخ عبد اللطيف مثال نموذجي للضياع الليبرالي والعلماني وإليكم الأدلة: –

١– يتعامـل الأخ عبد اللطيف مع الواقع السياسـي من خلال مفاهيمه العقلية وآرائه الشـخصية التي تشـكلت بناء على ما في الواقع من أحداث سياسية ومواثيـق دولية وإمكانيات واقعية دون أن يتعمق في فهم الكون والحياة والعقائـد الدينية والعلمانية أي من دون رصيد من العلم الفكري وهذا هو الأسلوب العلماني والفلسـفي والليبرالي وهذا أسلوب يوصل صاحبه إلى آراء متناقضة فيعتبر المقاومة الفلسطينية واللبنانية تخلف و جهل وإرهاب وحماقات أو العكس تماما فيراها مقاومة مشـروعة وبطولة وشجاعة أو ما بـين هذين الرأيين مـن آراء كثيرة لأنه بالإمكان إعطـاء تبريرات لكل الآراء فيمكـن أن يقال إن إسـرائيل دولة محتلة وتخالـف قرارات الأمم

المتحدة وقتلت كثيراً من المدنيين الفلسطينيين واللبنانيين وترفض مبادرات السلام ....الخ ويمكن أن يقال العكس تماما أن إسرائيل تدافع عن نفسها وغير ذلك ومثل هذه الاختلافات العلمانية تؤدي إلى الصراعات في أحيان كثيرة لأن كل طرف مخلص يقف الموقف الذي أوصله إليه عقله وما أكثر العقول ولكن نحن نريد أن يتبع الإنسان الحق (العلم الفكري) وهو واحد أما غير المخلصين فيختارون من الآراء العلمانية المتناقضة ما يناسب فسادهم.

٢- لا يمكن معرفة الحق من الباطل في كثير من القضايا الرئيسية إلا إذا تعمقنا في التفكير والبحث والدراسة في العقائد والمبادئ الدينية والعلمانية وإذا لم نفعل ذلك سيتبع كل مخلص على هذه الأرض عقله أو سيتأثر بالبيئة التي نشأ بها فمن يولد فلسطينيا سيحارب الإسرائيليين ومن يولد إسرائيليا سيحارب الفلسطينيين. والأهم من ذلك أن العقائد سواء كانت دينية أو علمانية تؤثر في مواقفنا وآرائنا وأحداث السياسة وحياتنا الاجتماعية ....الخ ويريد العلمانيون أن نعتبر الحياة سياسة واقتصاداً وماديات لأنهم لم يتعمقوا في القضايا الفكرية من إيمان وكفر والمعاني الصحيحة للعدل أو المقاومة أو الجهاد والإرهاب والحرية...الخ فكيف يعرفون أن هذا الفعل جهاد ومقاومة أو إرهاب أو غير ذلك ولم تصل عقولهم للمعاني الصحيحة بل أعلنوا عجزهم صراحة عن معرفة المعاني الصحيحة والمعاني الصحيحة يحددها العلم والعقل السليم لا تلك المعاني التي يحددها الشعب كما يشاء من خلال التصويت ولا تلك المعاني التي تحددها مواثيق الأمم المتحدة ولأننا كمسلمين وصلنا وحددنا المعاني الصحيحة من خلال العقل

الذي أوصلنا للقرآن والسنة فإن من الطبيعي أن نتمسك بهذه الثوابت ونحن بالتأكيد أكثر صوابا مـن العلمانيين الذين يقولون لا ندري ولم نصل إلى شــيء بل لن نصل إلى شــيء وليس عندهم مبادئ ثابتة أما نحن فلا نريد الفكاك من الثوابت الفكرية لأنها الحق والعلم وصراعنا مع إســرائيل ليس هــو صــراع أرض أو مصالح أو حتى صراع مع اليهــود بل هو دفاع عن الحق والتزام بالمبــادئ الصحيحة وليتأكد ألف مــرة الأخ عبد اللطيف أن لنا عيوناً تقرأ وعقولاً تفكر وســمعنا ما قاله أعداؤنا ومن يخالفنا وكثيراً منا درسوا في الغرب ومع هذا لا زلنا متمسكين بثوابتنا لأننا نعلم أننا على حق ونملك الأدلة التي تثبت أن العقل السليم يوصلنا للقرآن والسنة فنحن لا نعيش في أوهام أو سطحية ولسنا جماهير ساذجة لا تفهم أما إسرائيل فهي متقدمة سياســيا واقتصاديا وإداريا وتكنولوجيا ولكن ضياعها وفسادها هو في مبادئها العقائدية ويكفي أن اليهود مقتنعون أنهم على حق ومع هذا لا يدعون بقية البشر إلى هذا الحق وليس عندهم أدلة تثبت ضلال المسلمين أو تفند الأدلة التي يذكرها المسلمون لإثبات صواب الإسلام.

٣- أي عقل منصف في العالم يعلم أن إســرائيل دولة معتدية شــردت ملايين الفلســطينيين واحتلت سيناء لســنوات واحتلت جنوب لبنان عشرين سنة ولا زالــت تحتل الجــولان والضفــة الغربية وغــزة وبالتالــي فمقاومتها حق مشــروع حسب القانون الدولي ومع هذا لا يرى عقل الأخ عبد اللطيف هذه الصورة والمفروض أن تحارب الدول العربية بل كل دول العالم إسرائيل حتى ترجعها لحدودها الدولية وإذا كان هذا لم يحدث نتيجة ضعف الدول العربية ومســاندة أمريكا لإســرائيل فواجبنــا أن نشكر حزب الله وحماس

وأقول لا شـك في أن للمقاومة ضحايا من مدنيين وخسـائر مادية ولكن أليست القوة هي الوسيلة الرئيسية للوصول إلى الحق عبر التاريخ ألم يقتل الملايين من الشـعب الفيتنامي حتى تحررت فيتنام من الاحتلال الأمريكي ألم يقتل أكثر من مليون جزائري حتى يتحرروا من فرنسـا ألم يقتل مئات الآلاف مـن الأفغان ليتحرروا مـن الاتحاد السـوفيتي إن العقل العلماني الليبرالي لا يرى ذلك لأن "ثوابته" متناقضة أليسـت العلمانية هي اللادينية أي الاتجـاه المعاكس للدين وبالتالي ليس غريبا أن يقف الأخ عبد اللطيف ضد حزب الله وحماس لأنهما حركتان إسـلاميتان وهو ضد الإسـلاميين الكويتيين ويتهمهم بالتخلف فهو متناقض مع الإسـلاميين سواء جاهدوا أو لـم يجاهدوا ولن يرضى عنهـم إلا إذا تركوا له الدولة والسياسـة بل كل القضايا العامة وأنصحه ألا يضيع وقته لأن العملاق الإسـلامي بدأ ينهض في كل مكان.

٤- أسـر حزب الله جنديين إسـرائيليين وقتل ثمانية وجرح آخرين لا يعطي إسـرائيل الحـق بقتل مئـات المدنيـين اللبنانيـين وضرب مطـار بيروت والموانئ اللبنانية ومدينة بيروت وتدمير الجسور ....الخ لأن من بديهيات العدل أن يكون رد الفعل مسـاوياً للفعل قال تعالى: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾ (١٢٦) سـورة النحل وأي منصف في العالم سـيقبل أن تأخذ إسـرائيل بثأرها من حزب الله لا من الشـعب اللبناني والدولة اللبنانية وأنـا أتحدث هنا عن هذا الموضوع دون أن أربطه بما فعلته إسـرائيل لعشـرات السـنين مـن جرائم كثيرة في حق اللبنانيين والفلسـطينيين ناهيك عن حق حزب الله في تحرير أسراه من

سجون إسرائيل. وما أقوله هو شيء معروف ولكن بعض الليبراليين يوجه الاتهام واللوم لحزب الله لا لإسرائيل فهم يقفون من حيث لا يشعرون مع أعداء الأمة والخونة وأنبه أن اختلاف الأخ عبد اللطيف ليس مع توقيت أسر الجنديين الإسرائيليين أي اختلاف اجتهادي بل هو اختلاف مع حزب الله ومبادئه ويطالب بتحرير لبنان من حزب الله وعموما فالشعوب الحرة ترفض أن تعيش حياة الذل والاستسلام والخضوع ولو كانت تحسب أمورها بمقاييس مادية وما فيها من خسائر لما تحررت كثير من الدول.

٥- جزء من مأساة العلمانيين والليبراليين هو أن ما يجمعهم من مبادئ قليلة جدا وأغلبها شعارات وأهداف عامة لا اختلاف حولها ولا شك أن قضايا وأحداث الواقع كثيرة جدا فمن الطبيعي أن يظهر الاختلاف الجذري بينهم كلما سارت القافلة حيث ستختلف آراؤهم جذريا حول الصراع العربي الإسرائيلي أو حول الموقف من أمريكا أوروسيا أو بريطانيا كما ستكون هناك اختلافات جذرية في مواقفهم من الأنظمة العربية.....الخ ولهذا لم استغرب عندما وجدت ليبراليين عرباً ذوي مواقف متصادمة من حزب الله وحركة حماس وفي نفس الوقت هناك ليبراليين عرب ذو مواقف مؤيدة لحزب الله وحركة حماس وعندما تنكشف حقيقة الليبراليين في الجانب الغامض من فكرهم ومواقفهم يصبح من الطبيعي أن يتصارعوا فيما بينهم فالاختلاف الجذري شر كله ولا مكان فيه للود والمحبة فما بالك إذن بموقف المسلمين منهم ومثل هذا الوضع لا يحقق للشعب أو الأمة التعاون والاتفاق والوحدة لأنك إذا اتفقت مع الليبراليين في بعض القضايا كما

يحدث مع الأخ عبد اللطيف في كثير من القضايا الوطنية تجد نفسك تختلف معهم في قضايا أخرى هامة.

٦- عجـزت الليبرالية اللبنانية على مدى قرنين عن إقناع الناس بأن مبادئها أقـوى وأرقى من أديان الآباء والأجداد مع أنه توجد لها في لبنان حرية كاملـة لكل مبادئها من رأسـمالية واشـتراكية وشـيوعية وتعصب قومي وإقليمي ووطني وكان لبنان سـاحة لنشـر العلمانية بمدارسـها المختلفة للأمة العربية وفشل المشروع الغربي فشلا كبيرا حيث ماتت هذه المدارس ومات مفكروها وأصبح مكانهم المتاحف الفكرية والسياسية حيث شاهدت شعوبنا فشل وسـقوط الأنظمة والأحزاب العلمانية وشاهدت تبدل مبادئ العلمانيين والمتأثرين بالعلمانية فالقومي أصبح وطنيا عنصريا والشيوعي أصبح رأسـماليا والرأسـمالي أصبح مشـغولا بمصالحه الشخصية وهكذا وإذا كانت أحد مشـكلات لبنان الولاءات السـلبية لدول أخرى لأغلب قواه السياسية وأقصد بالولاءات السـلبية الانحرافات التي تتعارض مع انتماء لبنان لأمته العربية والإسلامية فهذا في الغالب من ثمرات العلمانيـة سواء بصورة مبـاشـرة أو غير مبـاشـرة لأن مفـاهيمهـا الخطأ ستؤدي بالتأكيد إلى مفاهيم غير صحيحة لمصلحة الوطن في حين لدينا بالإسلام منهج يحدد الولاءات وغيرها سـواء ما يتعلق بالوطن أو القبيلة أو الأسرة أو غير ذلك قال تعالى: ﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتـا وإن أوهن البيـوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمـون، إن الله يعلم ما

يدعون من دونه من شــيء وهو العزيز الحكيم (٤٢) وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون (٤٣)﴾ سورة العنكبوت.

الليبراليون والواقع السياسي

يمكن بيان واقع الليبراليين السياسي من خلال النقاط التالية : –

١– اقتنــاع العلمانيين والليبراليين العرب بالفكــر العلماني الغربي أدى إلى تصادم مع فكر الأمة الإسـلامي وتصادم مع كل مسلم واعٍ وليس صحيحاً أن اختلافهــم وتصادمهم هو مع بعض الجماعات الإسـلامية المتطرفة أو الرجعية فقد تصادموا مع علماء الأمــة وثقافتها وتاريخ الأمة واعتبروه كله أو أغلبه أسـودا فمفاهيمهــم للحرية أو العدل أو الإصــلاح أو التقدم تختلف عما نعتقده كمســلمين والتشابه الفكري بين الغرب العلماني والعرب العلمانيــين والليبراليين يجعل من الطبيعي وجود ولاء للغرب ودوله ولهذا يختاره كثير منهم للهجرة والعمل أو السـياحة أو التعليم وتجد عشــقا للغة الإنجليزيــة وزهــدا باللغة العربية مــع أنها أجمل وأغنــى ويصبح هؤلاء العــرب أجانب في عقائدهم وثقافتهم وتعليمهم ولباســهم وحتى عاداتهم وغذائهم.

٢– يقول المثل الشعبي "اللي مو على دينك ما يعينك" أي الذي يختلف معك في عقائدك وعبادتك لن يساعدك ووجد الغرب في بعض العلمانيين والليبراليين تأييداً وتشجيعاً ليس للتعاون في المصالح المشتركة بل حتى في غزو دول عربيــة أو الثورة على أنظمتها كما حدث مع الخلافة العثمانية وغيرها ولا شــك أن الغــرب ذو تاريخ اســتعماري طويل فنحن معهم فــي صراع منذ الحروب الصليبية وكانوا ولا زالوا يتآمرون علينا ومن السذاجة السياسية

بل والغفلة أن يصدق عربي أن الغرب يريد الخير لبلادنا وأن هدفهم نشـر الحرية أو الديمقراطية بدليل أنهم أكبر أعوان أنظمة الاسـتبداد والظلم في العالم مـا دامت هذه الأنظمـة تحقق مصالحهم وصدق بعـض العلمانيين العـرب الغـرب وتعاونوا معه على أمـل أن يحقق لهـم أو لبلادهم الخير ولكنهـم رأوا بأعينهـم أن الغرب لا يهمه إلا مصالحـه وله خططه وأهدافه وأنه أعظم شراً من الأغلبية الساحقة من الأشرار العرب وكما قيل:-

"رب يوم بكيت منه فلما صرت في غيره بكيت عليه"

وهـؤلاء أدركوا متأخـرا أنهم أصبحـوا في نظر شـعوبهم وأمتهم خونة وطابوراً خامساً وبعضهم دفع ثمن هذا الموقف وأضيف إلى ذلك أنهم شجعوا أعـداء الأمة على مزيد من العدوان لأنهم أوجدوا لهم أعواناً من أبناء جلدتنا يؤيـدون ما يقوله الأعداء من مبررات ويسـاهمون بكفاءة عالية في تشـويه عقائدنا وأنظمتنا وقوانا الشعبية وأهدافنا وجهادنـا فدورهم دور المنافقين في عهد الرسول ﷺ ويسعى الغرب بكل الطرق لإضعاف الأمة العربية وتمزيقها فيهدد الحكومات بالشـعوب وكذلك يهدد الشعوب بالحكومات ويسعى لإثارة الفتن العرقية والطائفية والسياسـية والطبقيـة ....الخ فأحيانا يؤيد ليبراليين وأحيانا يؤيد إسلاميين وقد يتحالف مع القوميين وهكذا والمهم هو أن تشتعل النزاعات والصراعات في الأمة.

٣- يقول بعض العلمانيين والليبراليـين العرب أنكم لا تعرفون الغرب وأنكم مضللـون بنظرية التآمر والعداء وأن الشـعب الأمريكي لن يرضى بوجود اسـتعمار أمريكي لأي دولـة ...الخ وأقول أن جرائم أمريكا والسـجون

السرية وانتهاكات حقوق الإنسان واضحة جدا للعالم بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١ وأن هناك غربان غرباً ذوي نوايا حسنة وشعوباً نستطيع أن نتعايش معها ونتعاون ونتحاور مع مثقفيها وهناك غرب سياسي ذو أهداف شريرة ومصالح استعمارية . والشعب الأمريكي مخدوع إعلاميا من حكومته ومن الضروري أن نقول أن العرب عربان أيضا فهناك عرب طيبون وهناك عرب أشرار أو جهلاء وهذا التصنيف ينطبق على الشعوب أيضا وما ندعو له هو أن يتجمع الطيبون تحت مظلة الحق والخير مهما اختلفت أوطانهم ولغاتهم وهذا هو ما دعا إليه الأنبياء وينقسم الليبراليين أيضا إلى مجموعات مجموعة منهم ليبراليون مسلمون يريدون حرية الرأي والديمقراطية وينتمون إلى عروبتهم وأمتهم وهناك ليبراليون جهلاء لديهم بعض المفاهيم التي تعارض الإسلام أو يقفون من حيث لا يعلمون في خندق الأعداء وهؤلاء بحاجة إلى تعليم ومجموعة ثالثة علمانية تكره الإسلام وتحارب أهله ولكن أغلب أفرادها لا تعلن ذلك وأنبه هنا إلى أن تسليط الأضواء على شر العلمانية والليبرالية في العالم العربي والإسلامي لا ينبع من أن لها قوة فكرية أو قوة شعبية بل فكرهما هزيل وشعبيتهما مفقودة ولكن صوتهما العالي يثير الفتن الفكرية والسياسية أي هم أقوياء في الهدم والفساد.

٤- لم يعد الغرب بحاجة لأن يحاربنا عقائديا وسياسيا ونفسيا وإعلاميا لأن كثير من العلمانيين والليبراليين يقومون بهذه المهمة خير قيام فهم يطالبوننا بأن نبعد الدين (الإسلام) عن السياسة وأن نبتعد عن الجهاد وحتى عن الدفاع عن أوطاننا وكرامتنا ويقنعوننا بأننا ضعفاء فتتحطم

معنوياتنا ونستسلم بدون حرب والمعركة الرئيسية المشغول بها كثير من الليبراليين هو تشويه الجماعات الإسلامية والأنظمة الإسلامية وعلماء الإسلام بل حتى تاريخنا لم يسلم من تشويههم فلا زالوا يتحدثون عن الفتنة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه وقال لي أحدهم : "اذكر لي إيجابية واحدة للخلافة العثمانية" وهذا يجهل الحق من الباطل ولا يفقه في الصراع السياسي ولا يعرف تاريخنا ولو قرأ فقط شعر أمير شعراء العرب أحمد شوقي رحمه الله وهو المثقف الواعي فكريا وسياسيا لعرف أنه كان يعشق الخلافة العثمانية مع أنه عاش في آخر عمرها عندما أصبحت ضعيفة وإيجابياتها قليلة ولكن ماذا نفعل مع من مراجعه كتب المستشرقين لا حقائق التاريخ وكتب المسلمين ومن الملاحظ أن أكثر الليبراليين هم أهل كلام وجدل وهذا ليس غريباً لأنهم أبناء الفكر العلماني الفلسفي وهم لم يحققوا نجاحات عملية ولعل أكبر دليل على ذلك هو نصيبهم المتواضع (إن وجد) في العمل الخيري فهم بعيديون كل البعد عن واقع الفقراء والمرضى بل حتى تجدهم بعيدين عن القوى الشعبية الحقيقية وفشلهم وضعفهم واضح في كل انتخابات حقيقية فهم معزولون وانعزاليون ومنبوذون ومن لا يجيد غير التهجم والنقد والسخرية لا يستطيع أن يحقق إنجازات عملية ولن يستطيع أن يفهم الواقع بصورة صحيحة وبالتالي سيفشل في معركة الإصلاح والبناء.

٥- قد يقول قائل لقد ظلمت العلمانيين والليبراليين العرب كثيرا فبعضهم كان له دور كبير في نشر الثقافة وفي الدفاع عن الديمقراطية والمشاركة

الشـعبية وكان لهم دور في الدفاع عن أموال الشعوب ....الخ وأقول هذا صحيح ولكن سلبياتهم كثيرة فقد نشروا كثيراً من الفتن الفكرية والسياسية ومن وصل منهـم إلى الحكم وطبق اقتناعاته أدى إلى أن تترحم شـعوبنا على أيام الاسـتعمار البريطاني فشـرهم وضررهم أكبر بكثير من خيرهم ونفعهـم فالليبراليـون لا يعرفون الحق مـن الباطل فـي قضايا المبادئ والعقائد وبالتالي سـيتعاملون بجهل وضياع وتدمير مع كثير من قضايا الواقع والسياسـة لأنها أكثر تعقيدا وصعوبـة وهم حصان طروادة الذي أدخلـه أعداؤنا بيننا ووجودهم دليل على نجـاح الغزو الفكري والثقافي الأجنبـي وأقول وأكرر وبصـوت عال ليس عندنا حساسـية أو رفض أن نسـتفيد مما نجح الغرب فيـه وخاصة في مجـال الديمقراطيـة والإدارة والتكنولوجيـا وغير ذلك ولكن ألـف لا للتخلي حتى عن جـزء من مبادئنا الإسـلامية حتى لو أعطونا كنوز الدنيا ومناصبها ووضعوا الشـمس في يميننا والقمر في شمالنا وأذكر كل مسلم بأن اللين والتسامح وحسن الخلق جزء من مبادئنا الإسـلامية وهي تحقق كثيراً جدا من الخير والتعاون بين المسـلمين وبينهم وبين العالم فنحن بحاجة إلى كثير من اللين وحسن الخلق والحـوار واللقاءات والاجتماعات مع من يخالف مبادئنا سـواء كان من المسلمين أو من غيرهم.

شبهات البليهي

كتب الأخ العزيز الدكتور ناجي سعود الزيد بتاريخ ١٠ أبريل ٢٠٠٥ مقالا بعنوان "الإسلام الليبرالي" واحتوى المقال على أراء الأستاذ إبراهيم البليهي وشبهات الأستاذ إبراهيم سمعناها مرارا وتكرارا ورد عليها كثير من المسلمين وهي في أغلبها ليست صحيحة ويثيرها أعداء الإسلام والمسلمين كجزء من حربهم الفكرية والسياسية والنفسية وسأحاول أن أرد باختصار شديد على أغلب الآراء التي تم ذكرها من خلال النقاط التالية:-

١- ليس صحيحا أن المسلمين لا يقدمون للعالم سوى القتل والتفجير وقطع الرؤوس فالرؤوس البشرية التي تم قطعها أو قتلها من قبل الولايات المتحدة من المسلمين خلال السنوات الخمس الماضية أضعاف ما قتله المسلمون من متطرفين ومعتدلين خلال الفترة نفسها وقتلت الحضارة الغربية العلمانية من الأوربيين وغيرهم في الحرب العالمية الثانية فقط أكثر من أربعين مليون إنسان هذا غير مئات الآلاف من الفيتناميين ومثلها من الجزائريين وغير ذلك وهناك مليار مسلم لم يقطعوا رأسا واحدا بل لم يقتلوا رجلا واحدا من أعدائنا الظاهرين والمستترين ولو تعمقنا في هذه الشبهة قليلا لاكتشفنا خطأها فكيف لو تعمقنا أكثر؟

٢- الأغلبية الساحقة من المسلمين منبهرون أكثر من اللازم بإنجازات الحضارة الغربية وبالتالي لا يوجد عندنا جمود في الإحساس وضعف في الذوق وهزال في الإدراك كما قال الأستاذ إبراهيم وإذا كان هناك من المسلمين من لم ينبهر فهذا هو الاستثناء لا القاعدة.

٣- لاشك أن هناك انهياراً عقائديا وكوارث اجتماعية وفسادا أخلاقيا في الغرب ومن الخطأ تقليل هذه الأمور فلا سعادة بلا إيمان صحيح وحياة اجتماعية مستقرة وأخلاق عفيفة فهذه أهم في حياتنا من التكنولوجيا المتطورة والقوة المالية والعسكرية والانحراف الجنسي ليس كصندوق قمامة في قصر جميل بل أكثر من ذلك بكثير ويكفي أن نعرف كم تعاني الزوجة من خيانة زوجها أو العكس حتى نقتنع بأهمية العفاف ووجود إيجابيات أخلاقية في الغرب لا ينفي وجود سلبيات أخلاقية هائلة كالزنى وقطيعة الرحم وعقوق الوالدين والأنانية...الخ إن نسبة عالية من الآباء والأمهات لا يشاهدون أبناءهم الكبار لسنوات طويلة وهذا تخلف اجتماعي شديد وليس انحرافا بسيطا.

٤- الصراع على السلطة قضية موجودة قديما وحديثا وفي الدول الإسلامية والعلمانية ولكن مما لا شك فيه أنه كلما زاد الإيمان كنا أكثر زهدا في المناصب وأكثر ابتعادا عن الفتن وتتصارع الدول العلمانية الغربية منذ ثلاثة قرون من أجل السلطة والعلو في الأرض ، ولهذا أشعلت كثير من الحروب الكبيرة والصغيرة فيما بينها وهذه الدول تدعي الحرية والديمقراطية واحترام حقوق الإنسان في حين أن الصراع على السلطة عندنا هو في الغالب حركة أفراد أو قبائل وأعراق ليس لديها أنظمة متطورة.

٥- طبق الإسلام في فترات كثيرة من التاريخ في دول وأفراد وليس صحيحا أنه اقتصر على عهد الرسول ﷺ والخلافة الراشدة وأسأل أوربا وستقول

إن الخلافة العثمانية خلافة إسلامية لأنها دولة تمسكت بكثير من المبادئ الإسلامية وهذا لا ينفي وجود انحرافات فيها وفي غيرها من الدول الإسلامية لأنها دول غير معصومة ولأن الواقع ليس مثاليا وإذا نفينا عنها الإسلام فلننف العلمانية عن الدولة الأمريكية لأنها أبادت الهنود الحمر واستعبدت الأفارقة وألقت قنبلتين ذريتين على اليابان وانتهكت مرارا وتكرارا حقوق الإنسان وسيادة الدول وتمردت على قرارات الأمم المتحدة وغير ذلك.

٦- لا أدري لماذا نعتبر قتل ثلاثة خلفاء راشدين دليلا على ضعف أو فشل للإسلام أو الخلافة الراشدة فالقتل بحد ذاته ليس كارثة أو حتى سلبية تحسب علينا فلكل نظام أعداء حتى الرسل كان لهم أعداء ولو كان بقاء الحاكم حيا هو دليل تقدم لكان المستبدون هم أفضل الحكام وإذا قيَّمْنا عقائد وأخلاق وعدل وانتصارات الخلفاء الراشدين مقارنة بغيرهم من الحكام والحكومات فإنهم أفضل الحكام والحكومات وأرجو أن تذكر اسم حاكم أو أكثر من الدول العلمانية كان في مستوى الإمام علي كرم الله وجهه في علمه وعدله وزهده وتضحياته.

٧- ليست الخلافة الأموية دولة عشيرة بل هي دولة عظمى حققت انتصارات أكثر مما حققت الخلافة الراشدة وأدارت دولة عظمى فيها أعداد كبيرة من الشعوب واللغات والأديان أما الخلافة العثمانية فقد وحدت أجزاء كبيرة من العالم الإسلامي لعدة قرون فلما انهارت مزقتنا الدول الأوربية فجعلتنا أكثر من عشرين دولة وهي دولة عظمى لها إيجابيات كبيرة في العدل والتسامح والعز والانتصارات على دول عظمى كدول أوروبا

وروسـيا وغيرها في حين أننا العرب وفي القرن العشـرين كله لم نستطع توحيد ربع دولنا بل أن عجزنا العسـكري والسياسي والتكنولوجي واضح جدا أمام دولة صغيرة كإسرائيل فكيف تكون الخلافة العثمانية دولة فاشلة وهي دولة عظمى كان يحسـب لها ألف حساب؟ باختصار كنا ناجحين جداً والآن نحن فاشلون لأنه لا أحد يحسب لنا حسابا لأننا متفرقون وضائعون وفقراء وإذا كانت الخلافة العثمانية تستغل الإسلام وتتاجر به فأقول أهلا بهذا الاسـتغلال إذا كان سيجعلنا دولة عظمى ولكن الحقائق الواقعية تثبت إخلاص وصدق كثير من حكام المسلمين.

٨- ليس صحيحا أبدا أننا لو تعرضنا لما تعرضت له الولايات المتحدة في ١١ سبتمبر لفعلنا أكثر مما فعلت فالرسول وأصحابه تعرضوا لأكثر بكثير مما تعرضت له الولايات المتحدة ومع هذا تسـامحوا وكانوا أهل عدل ورحمة وليس هـذا مجال التفصيل كما أن تسـامح صلاح الديـن الأيوبي ومحمد الفاتح - وغيرهما كثير - مع أعدائهما معروف ومشـهور وعندما غزونا شعوبا ودولا فهدفنا كان نشر المبادئ الصحيحة وتحرير الناس من الكفر والضلال والجهل فنحن لا نغزو لنستولي على النفط أو نعدل خريطة الشرق الأوسط حتى تخدم إسرائيل أو أمريكا ولا نبحث عن أسواق لمنتجاتنا وما أقوله لا ينفي وجود من ينتسـبون للإسلام والمسـلمين قديما وحديثا ممن لهم أهـداف دنيوية ونحن نتمنى اقتصار المقارنـة الواقعية على مقارنة المسلمين الملتزمين بالعلمانيين الملتزمين.

٩- تشابه المسلمين في عقائدهم وأفكارهم الرئيسية لا يعني أنهم نسخ مكررة وإذا وصفناهم بذلك فلنقل عن الأطباء أنهم نسخ مكررة لأن لديهم القناعات

نفسها فكلهم يقولون عن هذه المادة أنها سم وعن تلك أنها دواء.... وهكذا والحقيقة أن تناقض العلمانيين واختلاف نسخهم دليل على ضياعهم وجهلهم لأنهم لم يصلوا إلى الحقائق الفكرية أي لم يصلوا لمعرفة العدل الصحيح والحرية الصحيحة والتوحيد الصحيح إنها والله مأساة علمية أن نفتخر بالاختلاف وأن نعتبر الوصول إلى الحقائق الفكرية تخلفا عقليا وعلميا.

١٠- لا مانع لدينا من استخدام كثير من الآليات الحديثة التي ثبت نجاحها في تحقيق العدل والمساواة والحرية فالحكمة ضالة المؤمن ونحن لسنا ضد كل ما يأتي من الغرب ومشكلتنا كمسلمين ليست عجزا أو نقصا في الآليات أو المفاهيم والمبادئ بل مشكلتنا في النوايا أي درجة إخلاصنا للإسلام فتحميل الإسلام والمسلمين الصادقين مرارة الواقع فيه ظلم كبير لأننا نعرف ما في واقع شعوبنا من عصبيات عرقية واتباع للمصالح المالية والشهوات.

١١- أتمنى ألا نضيع جهودنا في ذم الغرب أو مدحه أو في المبالغة في ذكر إيجابياته أو التقليل منها أو في محاكمة التاريخ والواقع ولنبتعد كثيرا عن الجدل وتبادل الاتهامات ولننطلق لنبني دنيانا وأخرتنا فنفكر كيف نطور أنظمتنا السياسية وأوضاعنا الاقتصادية وكيف نبني التعاون بين أبناء الوطن وبين أبناء الأمة وكيف نضع الخطط لتطوير التعليم والبحث العلمي.... الخ وما أقوله هو ما يأمرنا به الإسلام فهل نحن فاعلون؟.

لا تحتكموا إلى الدستور

من الأخطاء الكبيرة جعل الدستور الميزان الوحيد والمرجع الأخير للحق والباطل أو الصواب والخطأ وتعالوا نسلط الأشعة العميقة على الدستور في دولة علمانية تظن أنها متطورة فكريا وعقليا وسنكتشف أحد أكبر عمليات الجهل والضياع في العصر الحديث وإليكم الأدلة:

١- تجسد الدساتير العلمانية مبادئ اقتنعت أو آمنت بها أغلبية الشعب أي رأت أنها الحق والصواب والمشكلة أن العلمانية تعتقد أنه لا يوجد حق وصواب (حقائق فكرية) فكل ما هو موجود من مبادئ تحدد العدل والحرية والمساواة ومفاهيم الاقتصاد وغير ذلك هي آراء تحتمل الصواب والخطأ فلا يوجد حق بل يوجد اجتهادات وآراء بشرية فالدستور ليس مبادئ صحيحة وحقائق فكرية بل هو اتفاق شعبي وعقد اجتماعي أي هذا ما قرره الشعب لا ما حكم به العقل والعلم والفرق شاسع جدا بين الأمرين وما دام الأمر كذلك فالدستور لا يصلح أن يكون مرجعا علميا وليس ميزانا عقليا بل هو مبادئ تم صناعتها من خلال توازن المصالح والتجارب والعادات والتقاليد والعقائد والمبادئ وسيتم مع مرور السنين تغيير بعض أو كل مواده فهو إذن اتفاق سياسي يمكن تغييره متى ما وجدت "القوة" و "الرغبة" في التغيير وأي مبدأ حتى لو كان شاذا أو متخلفا وغير مقنع علميا يمكن قبوله إذا نال قبول أغلبية الشعب وما ينطبق على الدستور ينطبق على القوانين.

٢- الدستور والقوانين هي جزء من حياة الإنسان وبالتالي ستكون مساحة المبادئ والضوابط الدستورية والقانونية محدودة مقارنة بما في الحياة من قضايا اجتماعية وعقائدية واقتصادية وأخلاقية فالعلاقة بين الآباء والأبناء أكبر بكثير من قوانين علمانية محدودة فهناك الاحترام والرعاية والتضحية والحب وصلة الرحم....الخ فالذي يربطنا بآبائنا وأمهاتنا أكبر بكثير من دستور وقوانين وهذا يفسر تفكك الأسر العلمانية في الغرب ونحن تتحكم فينا مبادئ إسلامية كثيرة تمنعنا حتى أن نقول لوالدينا كلمة أف وما ينطبق على الأسرة ينطبق على الأخلاق والتعامل مع المال والشهوات والمناصب والأصدقاء والأعداء ....الخ فالحياة تحتاج إلى مبادئ صحيحة أكبر بكثير من الدستور والقانون فإذا كان الدستور نابعا من عقيدة ومبادئ صحيحة فهو أمر مقبول أما إذا كان الدستور والقوانين هما كل المبادئ الصحيحة التي تم التوصل إليها فهذه كارثة علمية يصفق لها الجهل ويرفضها العلم والحياة ولم ولن تستطيع القوانين الصحيحة أن تكون بديلا عن العقائد الصحيحة والأخلاق الفاضلة والتربية الراقية فما بالك بالقوانين العلمانية التي يختلط فيها الحق بالباطل.

٣- إذا كان عرب الجاهلية يصنعون صنما ثم يعبدونه فإن علمانين القرن الواحد والعشرين يصنعون دستورا ثم يحتكمون إليه ثم يغيرون بعض مواده ثم يحتكمون إليه ولن ينتهي هذا المسلسل المكسيكي والتغيير ممكن أن يحدث في كل مواده وإذا كان عرب الجاهلية جاهلين فإنهم أعقل من العلمانيين لأن عرب الجاهلية يعتقدون ويؤمنون بأن الأصنام تضر وتنفع

ويظنــون أن هذه حقيقة ولهذا يعبدونها فــي حين أن العلمانيين لا يؤمنون بأن الدستور حقائق فكرية بل يعتقدون أنه آراء بشرية ومع هذا يحتكمون لها أي أن العلماني غير واثق من الحرية التي تم تحديدها في الدستور وغير واثــق من صواب العقوبات بل إنه ليس واثقا حتى من صواب فصل الدين عن الدولة وبالتالي من الطبيعي أن يكون "الإيمان" والاقتناع بالدسـتور والقوانين العلمانية ضعيفا وإذا أضفنا إلى ذلك اختلاف العقول البشـرية العلمانية في كل شـئ فمن الصعب أن تجد علمانياً واحـداً مقتنعاً بصواب كل مــواد الدسـتور وإذا تذكرنا أن الدسـاتير العلمانيـة تم صناعتها من خلال توازن المصالح والحلول الوسـط والتنــازلات المتبادلة والتصويت وغير ذلك سـنقتنع بأن كثيراً من "المبادئ" التي تم الاتفاق عليها لم يقتنع بها كثيرون وبالتالي قد يخالفونها سـرا ويعيقون تطبيقها ما اسـتطاعوا وسينتقدونها علنا حتى يتمكنوا من تغييرها مستقبلا.

٤- كثيـراً مــا تكون الدسـاتير عبارة عن جمـل عامة تحمل أكثر من تفسـير فمثــلا وجود حصانة للحـكام أو النـواب أو الوزراء يتعــارض مع مبدأ المســاواة بين المواطنين التي تم ذكرها بالدسـتور ونجد فــي أمريكا أن من حق الرئيـس الأمريكي قانونا إبقاء الحصانة علــى رئيس انتهت مدة ولايته وهذا يتناقض مع المســاواة أمــام القانون ومن الطبيعي أن يخضع الدسـتور والقانون للأقوياء لأن الاختراقات للعدل والحرية والمســاواة أمر مقبول ويمكن تبريره بمبــررات هزيلة من أصحاب النفوذ أو بدواعي الأمن أو المتطلبات لحرب أو غير ذلك وتحاول الدساتير أن ترضي الجميع

وأن تبدوا جميلة فهي أهداف وأحلام وردية وتتكلم عن المساواة البشرية ومن يكتبها قد لا يكون مؤمنا بالمساواة التي كتبها ما أقصده أنها ككلام كثير من السياسيين كلام جميل إذا تعمقت فيه لم تجده إلا سرابا فهي تتكلم مثلا عن "احترام الأديان" فكل الأديان محترمة حتى الباطل منها في حين أن العقل والعلم يقولان حاربوا الأديان الباطلة فهي وثيقة سياسية أكثر منها وثيقة علمية وهي تحاول أن ترضي الناس على حساب الحق والعلم وقديما قالوا "لو قلت الحق أبغضوك".

٥- يتم في الإسلام الاحتكام إلى القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ ويؤمن كل المسلمين "الشعب" أنها حق وهي حقائق فكرية علمية لا يأتيها الباطل من أمامها ولا من خلفها وأمر بها الله سبحانه وتعالى العليم الخبير وهي مبادئ شاملة وعميقة وثابتة لا تتغير وتسمح بوجود اجتهادات وقوانين وضعية لا تتعارض معها فهي ترشد عملية التفكير والعقل والاجتهاد والاستفادة من تجارب الآخرين فإذا تم ترجمة المبادئ الإسلامية الأساسية والاجتهادية في دساتير وقوانين فإن في هذا إبعاد العلم والحق عن التوازنات السياسية أو سيطرة أهل القوة من حكام أو طبقة أو عرق وفي نفس الوقت هناك حسم علمي وابتعاد عن الضبابية والغموض ومجاملة الأديان والعقائد الباطلة وبالتأكيد إن الدساتير الإسلامية التي مرجعيتها قال الله سبحانه وتعالى وقال رسوله ﷺ هي أفضل للبشر من دساتير صنعتها شعوب نعلم أن التناقضات الفكرية بين أفرادها جذرية والدساتير الإسلامية ليست "مثالية" بل هي واقعية تسمح بالتأقلم مع متطلبات الواقع

ودرجة الإيمان واختلافات الشعوب وإذا كانت دساتيرنا إسلامية تنطلق من حقائق إسلامية واجتهادات بشرية تم قبولها من المسلمين أو من يمثلهم من أهل الحل والعقد فإن الالتزام والإيمان بالدستور يصبح كبيرا أما إذا كان الدستور علمانيا فلا شك أن قيمته عند المسلمين أرخص من الورق الذي كتب عليه والمسلمون اليوم بحاجة إلى تبني دساتير إسلامية عصرية تتجسد فيها الشورى الملزمة والمشاركة الشعبية وحقوق الأقليات والحريات السياسية وغير ذلك

٦- كم من دساتير تم صناعتها بأيدي الشعب بصورة صحيحة ؟ أقول إن الغالبية الساحقة تم كتابتها من نظام حكم أو أغلبية عرقية أو قوة طبقية أو حتى من استعمار أجنبي وبالتالي فعملية صناعة الدستور لا تتم من خلال بيئة حرة فالقول بأن عملية تبني الدساتير تتم بشفافية وحرية أمر فيه كثير جدا من التزوير وخداع النفس وتحتكم الشعوب العلمانية إلى دساتير كتبت قبل خمسين عاما أو مائة أو أكثر وهذا يعني أن غالبية الشعب إن لم يكن كله لم يكتب الدستور بل فرض عليه وتجعل الدساتير أمر تغييرها يتطلب عادة الثلثين مما يوجد صعوبة في الوصول إلى تغيير مادة واحدة مما يعني أن الشعب مقيد بآراء الآباء والأجداد ولو قلل العلمانيون من شروط التغيير لظهر للقريب والبعيد حجم التناقض الفكري وغيره في المجتمعات العلمانية فليس لديهم مبادئ علمية يحتكمون لها ولهذا يتمسكون بالدستور على سلبياته حتى لا تنفرط الأوضاع في حين أننا في دولنا الإسلامية نستطيع أن نعيش بلا دستور لأن مبادئنا الإسلامية تحدد لنا كثير من الأمور.

٧- يطالب العلمانيون والليبراليون العرب بالالتزام بالدستور والقوانين ولكن بعضهم يشرب الخمر مع أن قوانين دولهم تمنع ذلك وتم التوصل لهذه القوانين ببعض هذه الدول من خلال التصويت الشعبي ومن بديهيات الديمقراطية أن عليك الالتزام بحكم الشعب حتى لو لم تكن مقتنعا به أي نحن أمام كفر بالديمقراطية وجريمة قانونية ومصيبة أخلاقية قال الشاعر العربي:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله   عار عليك إذا فعلت عظيم

في البدء كان الحوار

للأخ العزيز الدكتور خلدون حسن النقيب كتاب بعنوان "في البدء كان الحوار" تطرق فيه إلى مواضيع كثيرة أحب أن أعلق على بعضها سريعا وأتوقف عند موضوع "العلمانية والأصولية وأزمة الحرية" لمناقشته بشيء من التفصيل وأذكر في البداية شكري وتقديري للدكتور خلدون لموضوعيته وصراحته وتعمقه ورجوعه للمراجع العلمية وهو أمر لا نجده عند كثير من المثقفين العرب وكان مروري السريع من خلال النقاط التالية:-

١- من الضروري أن يتم تركيز الأضواء العلمية العميقة على العقائد والمبادئ والأيدلوجيات وتحديد الحق من الباطل فيها ومن أين على الإنسان أن يأخذ مبادئه؟ فبدون اتخاذ هوية فكرية صحيحة ومحددة لا يمكن التعامل مع الواقع بما فيه من صراع أو غيره تعاملاً سليم فالعلم قبل العمل بمعنى أن الإجابات العقائدية الصحيحة ستجعلنا نتعامل مع الواقع بصورة صحيحة قال الإمام علي رضي الله عنه "اعرف الحق تعرف أهله" والحق عقائد ومبادئ (علم) وأهله وأعمالهم واقع (عمل).

٢- أتمنى أن ينشغل مثقفونا بالحاضر والمستقبل وما فيهما من مبادئ وواقع ومشاكل لا بالماضي والتاريخ وما حدث في أوربا أو في الدولة العثمانية أو الفتنة بعد مقتل عثمان أو غير ذلك قال تعالى: ﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون﴾ (١٣٤) سورة البقرة.

٣- الابتعاد عن أقوال وآراء الفلاسـفة ومفكري الغرب والمفكرين المسلمين والابتعـاد كذلك عن اسـتخدام مصطلحات الفلسـفة والعلـوم الاجتماعية الغربية لأنها تحتمل الصواب والخطأ ولأنها تعقيد فلسفي وفكري لا نحتاج إليه فالأمور العلميـة والواقعية أهم من القيل والقال والآراء والنظريات والجزئيات الضائعة فلننطلق إلى العلـم الصحيح والعمل المفيد فكثيراً مما يعتبـره الناس علما ليس بعلم فبإمكاننا أن نبني دولة على أسـس صحيحة دون أن نستعين بمفكر أو فيلسوف غربي وهذا ما فعلناه مرارا فنحن نعرف العدل من الظلم والتوحيد من الشرك والحرية من الفوضى.

٤- أرجو أن يبتعد مثقفونا عن العموميات وخلط واقع بلد مسـلم بآخر فهناك اختلافات في جذور وواقع كل بلد من حيث الإتجاهات الفكرية والاجتهادية والملامح المعيشـية والسياسـية والعرقية والتاريخيـة وبالتالي فالحلول العلمية ستختلف والبرامج الإصلاحية ستتنوع في أهدافها وأساليبها وهذا لا يعني غياب بعض القضايا المشتركة بين بلادنا.

أما تعليقي على فصل "العلمانية والأصولية وأزمة الحرية" فهو من خلال النقاط التالية:-

١- قال الدكتور خلدون "عندما يتبع المرء الجدل الدائر منذ أمد بين الأصولية والعلمانية والذي يجد ترجمته المحلية في الكويت، في محاولة الأصوليين تعديل المادة الثانية من الدسـتور (بحصر مصادر التشـريع في الشـريعة الإسـلامية) لا بد أن يدرك أن القضية المحوريـة في هذا الجدل هي قضية الحريـة والعقلانية، فهي، إذا قضية ليسـت بالجديدة، بل ذات سـوابق في

تاريخنا الطويل، إذا أن الإطار المرجعي لهذا القضية هو فصل ما هو ديني عما هو سياسي أو فصل ما هو عقدي عما هو عقلاني، أي أن الأمر يتصل في النهاية، بمصدر المعرفة وترجيح عنصر العقيدة أو عنصر العقل في معرفتنا الموضوعية بالعالم "وأقول إن الأصوليين بمعنى الإسـلاميين والمسلمين هم قوم اتبعوا عقولهم في التفكير في القضايا الكبرى كوجود الله سبحانه وتعالى وثبت لديهـم بالأدلة العلمية القطعية وجود الله سـبحانه وتعالى وهــو أمر أدركه كثير جدا من العقول البشـرية من غير المسـلمين وعقول المسـلمين ثبت لديها بالأدلة العلمية القطعية أن محمد بن عبدالله رسول من الله وصدق الرسل ووجودهم ثبت عند اليهود والمسيحيين وغيرهم وبالتالي ثبت بالعقل السليم أن الإسلام كعقائد وشريعة هو حقائق فكرية أي إنه علم وبالتالي فالالتزام به هو التزام بالعقل السـليم أما العلمانيين فاستخدموا عقولهـم بطريقة جزئيــة ولم يبدؤوا في تسلسـل صحيـح للقضايا الكبرى الفكرية فضلت عقولهم ووصلوا إلى عقائد ومبادئ متناقضة كالرأسمالية والشيوعية وغيرهما واختلفوا في تحديد معاني الحرية والعدل والمساواة واعترفوا صراحة أن ما وصلوا له هو آراء وليسـت حقائق ولهذا يقولون الحقائق المطلقة لا يمكن الوصول إليها ولهذا فإنهم يؤمنون أن "الحقائق" نسبية ويؤمنون بأن "الحق خرافة" ولهذا يحتكمون في مبادئهم للتصويت الشـعبي على مسـتوى الدولة والآراء الشخصية على مسـتوى الفرد وهذا دليل جهلهم وعدم احتكامهم للعقل السـليم فكل منهم يحتكم إلى عقله لا إلى العقل السـليم ولهذا تأتي مفاهيمهم وقوانينهـم متناقضة جذريا حتى في

عقوبة القاتل أو توزيع الميراث أو الحقوق والواجبات الزوجية فالإسلام قال أن مصدر المعرفة العقل والعلمانية توهم الناس أنها تحتكم إلى العقل والأمر ليس كذلك والإسلام وصل إلى معاني محددة لقضية الحرية في حين أن العلمانية وصلت إلى معاني متناقضة تحسمها من خلال ديمقراطية غربية أو تصويت حزب حاكم شيوعي أو قرار حكومي وعندما يعارض المسلمون الحرية الزائدة التي يطالب بها العلمانيون الرأسماليون فليس معنى هذا أنهم ضد الحرية بل لأن الزيادة ليست أصلا جزءًا من الحرية وهذا ما أثبته العقل السليم «فالزائد أخو الناقص كما يقول المثل العربي» بمعنى أنه لو عارض الأب ابنه الصغير في زيادة الأكل عما هو عقلاني فهذا ليس ضد مبدأ الأكل وليس ظلماً وكذلك الأمر في الدواء فللأمور مقاييسها الصحيحة إذا زادت أو نقصت أضرت فالمقابلة ليست بين الحرية والأصولية والمقابلة ليست بين أن يكون مصدر المعرفة العقل أو العقيدة أما قضية فصل ما هو ديني عما هو سياسي فهو معالجة خاطئة للموضوع فالإسلام والرأسمالية والشيوعية والاشتراكية وغير ذلك هي مبادئ فكرية وإذا ثبت أن الشيوعية صحيحة فلنطبقها في السياسة وحياتنا الاجتماعية وإذا ثبت أنها خاطئة فلنرفضها في كل المجالات كمبدأ وهذا لا يعني أن كل ما تقوله الشيوعية خطأ وبالتالي المطالبة بفصل ما هو ديني (إسلامي) عما هو سياسي هو مبدأ علماني ليس له أبدا دليل علمي قطعي على صحته فهو رد فعل لانحراف المسيحية ورجالها.

٢- أقول للدكتور خلدون القول بأن ليس في الإسلام نظام حكم محدد لا

يعني أن الحكم والسياسة أمر دنيوي يقرره المسلمون كما يشاءون بل في الإسلام أسس لنظام الحكم مثل المساواة بين المسلمين والبيعة وضرورة الالتزام بتطبيق الشريعة وغير ذلك ويبقى دور المسلمين الدنيوي كبير في الاجتهادات بما يتناسب مع أوضاع كل بلد من حيث طبيعة نظام الشورى وآلية اختيار الحكم والحكومة وغير ذلك فهذه أمور يعرفها المسلمون ولم يخترعها العلمانيون العرب كما أن مبدأ «الشعب مصدر السلطات» مبدأ إسلامي ضمن ضوابط الإسلام قال تعالى: ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ وليس من حق العلمانيين أن يتهموا المسلمين أن للحاكم الإسلامي سلطات مطلقة فهذا أمر يتناقض مع بديهيات الإسلام والدولة الإسلامية دولة مدنية وليست دينية بالمفهوم الغربي لهذه الكلمة فالخلاف هو بين هل المرجعية للدولة إسلامية أو علمانية. والقرآن ليس دستوراً ولكنه كتاب سماوي ولا يتعلق فقط بعلاقة المؤمن بربه بل هو المرجع مع السنة للدستور والقوانين ومواقف الحاكم والحكومات والقوى الشعبية والحياة الاجتماعية والشخصية والرفض لهذه المرجعية كفر لا شك فيه وهذه المرجعية تجعل الحياة والدولة والسياسة خاضعة لحقائق علمية أثبتها العقل السليم فتحقق الشمولية والتكامل بين القوانين وبين فئات المجتمع ومن خلال المرجعية الإسلامية نعلم أن من حق الشعب اختيار الحاكم وعزله إذا تطلب الأمر ونعرف حدود طاعة الحاكم فإذا كانت الشعوب بعيدة عن الإسلام وتقبل من يحكمها بلا بيعة وقبول منها فهذا أمر لا يسأل عنه الإسلام أو المسلمون الملتزمون بل يسأل عنه الشعب وجبنه وانتماؤه إلى شهواته وعصبياته

ومصالحه وكم من شعب من شعوبنا ينطبق عليه قول "دينهم دينارهم".

٣- ليس صحيحاً أن علماءنا المخلصين موالون لحكام ظلمة ورضاهم في بعض الأحيان عن حكومات مستبدة هو نوع من الاجتهاد لأنهم يقارنون بين واقع سيئ وواقع أكثر سوءاً كما أن تصوير كثير من الدول الإسلامية كالعثمانية أو غيرها أنها ظالمة ومستبدة وفاشلة فيه ظلم كثير خاصة وأن هناك صراعا علمانيا غربيا مع جبهة إسلامية ووطنية كان ولا زال منذ أربعة قرون فالقبول بانحرافات وطنية شيء طبيعي لأن الخوف هو من خطر وشر أكبر إذا سيطر الغرب وهذا ما حدث في كثير من دولنا فلنبتعد عن المثالية والأماني الكبيرة فالخلافة العثمانية أرحم وأعدل وأصلح للأمة مائة مرة من دولة استعمارية علمانية غربية تريد تحطيم إسلامنا وسلب إرادتنا السياسية واستنزاف أموالنا وإذلالنا وجزء أساسي من وسائل الغرب في غزونا هو إقناع بعض مثقفينا بأن الإسلام يعني الأصولية والاستبداد وتحطيم حريات الرأي والديمقراطية والدستور والقطاع الخاص والأمر ليس كذلك أبدا ولا مشكلة عندنا مع ضرورة الإصلاح السياسي ولكن لم ولن نرضى أن يدخل معه الكفر والزندقة والفساد الأخلاقي والضياع العلماني.

٤- الواقع العربي لم يصنعه الإسلام والمسلمون الواعون فقط بل شاركهم في ذلك العصبيات العرقية والمصالح والجهل العلماني وفساد المفسدين والمسلمين المتطرفين والجامدين وبالتالي علينا أن ندرك أن الإصلاح يتطلب زيادة الإيمان في نفوس المسلمين وأن يلتزموا بالإسلام وعلى كل

حال فإن واقع كل شعب هو فعلا ما يستحقه وما زرعه بيده من علم وعمل وإخلاص أو من جهل وكسل ونفاق ونحن نعرف أن النوايا والإخلاص فيهما ضعف شديد حتى قال أحد المثقفين العرب "إذا تكلمنا فكلنا أصحاب مبادئ وإذا عملنا فكلنا أصحاب مصالح" أما أعمالنا فهي متواضعة وكذلك رصيدنا من العلم الشرعي والعلم التقني والعلم الإداري ....الخ وعملية الإصلاح تبدأ بإصلاح أنفسنا في كل هذه المجالات قال تعالى: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ (١١) سورة الرعد وما أقوله نشاهده بعيوننا وبعقولنا في كل فرد مسلم واعٍ ملتزم بدينه فهو ذو عقائد راقية وأخلاق فاضلة ونوايا صافية وأعمال طيبة في حياته الوظيفية والشخصية.

الحوار الإسلامي الليبرالي (١)

كتب الأخ العزيز الدكتور أحمد البغدادي في جريدة السياسة بتاريخ ٧ مايو ٢٠٠٥ مقالا بعنوان "الحوار المستحيل" وأظن أن مقاله تعليق على دعوة الدكتور عبد الحميد الأنصاري إلى تقارب إسلامي ليبرالي ولأنني من المقتنعين بضرورة الحوار الإسلامي الليبرالي أقول الحوار ليس مستحيلا ونجاحه يتطلب أموراً منها ما يلي:-

١- أن يدار الحوار من جهة محايدة من المستقلين من ذوي العدل والموضوعية والثقافة والخبرة ممن لا ينتمون إلى تنظيم إسلامي أو ليبرالي ومن الضروري أن يتم تخطيط وإدارة وتنظيم الحوار بصورة صحيحة وهذا وللأسف ما يفتقده كثير من السياسيين لأنهم يتعاملون مع الواقع السياسي دون قدرة على فهم صحيح للحدود الفكرية للإسلام والعلمانية والليبرالية فتخطيط الحوار وإدارته تتطلب مفكرين من أمثال الدكتور أحمد كمال أبو المجد والأستاذ فهمي هويدي والدكتور عمر الأشقر والدكتور عبد الحميد الأنصاري ويمكن اعتبار هؤلاء مستشارين لإجراء مثل هذا الحوار ولنتذكر أنه حوار فكري وليس سياسياً.

٢- من الضروري جدا إبعاد المتطرفين من الإسلاميين والليبراليين فهناك كثيرون من الصعب الحوار معهم فلو تم اقتراح مئة اسم من الإسلاميين ومثلهم من الليبراليين فإن نصفهم على الأقل غير جديرين بأن يكونوا من أهل الحوار وليس من العقل والواقعية والأنصاف أن نضيع أوقات ومستقبل

الشـعب والأمة في إقناع المتطرفين من كلا الاتجاهين والأهم من ذلك أن المتطرفين ليسـوا الممثلين الحقيقيين لأغلبية الإسلاميين والليبراليين بل هم سـبب الفتن والاختلاف والتنافر والصراع فأصحاب الانحرافات الفكرية الشـديدة يجب اسـتبعادهم وكذلك أصحاب المواصفات الشخصية السلبية كالغضب والحدة والجدل فلا بد من الرفق واللين والحكمة والصبر.

٣- يتطلب الحوار الإسلامي الليبرالي تحديداً صحيحاً وشاملاً وعميقاً ودقيقا للمصطلحات والمبادئ الفكرية وخاصة ما يتعلق منها بالإسلام والليبرالية والعلمانية والديمقراطية والاجتهاد والعقل والدولة المدنية ....الخ فعندنا مأسـاة فكرية لأننا نجـد لليبرالية معاني كثيرة متناقضة وكذلك للإسـلام والإيمان فضبط المصطلحـات والمعاني بديهة علمية وعدم تحديدها يعني الضياع من أول الطريق وسـيؤدي الحوار العلمي إن شـاء الله إلى إلغاء الاختلافـات الوهمية الناتجة عـن فهم خاطئ أو معلومـات غير صحيحة وسـيؤدي إن شـاء الله إلى إيجاد وحدة فكرية أو علـى الأقل إلى تقارب فكـري حول كثير من القضايـا الفكرية مما يقلل كثيـرا من حدة الخلاف الحالية فلنسـع إلى إحداث تطور فكري محلي وعربي في القضايا التي تهم الدول والقوى السياسية والأفراد.

يتبع،

الحوار الإسلامي الليبرالي (٢)

ذكرت في المقال السابق بعض الأسس المطلوبة لحوار إسلامي ليبرالي ناجح يقلل من حدة الاختلاف والصراع الموجودة حاليا ويخرجنا كذلك من الفوضى الحالية حيث الحوارات السطحية والجزئية والمتقطعة والسريعة بل أغلب ما يوجد ليس حوار بل تهجم واتهام وسخرية وصراع سياسي. ولا شك أن الاتفاق الفكري حول القضايا الأساسية هو الذي يوحد العقول والقلوب قال تعالى: ﴿وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم﴾ (٦٣) سورة الأنفال. وتعالوا الآن لنناقش أراء الأخ العزيز الدكتور أحمد البغدادي بهدف بيان إمكانية الوصول إلى اتفاق في كثير من القضايا بين الإسلاميين والليبراليين وقبل أن أبدأ في الحوار يهمني أن أذكر أن لي معرفة بالدكتور أحمد منذ خمسة وعشرين عاما وهو عزيز علي شخصيا وأتفق معه في بعض آرائه وأختلف معه في بعضها وخاصة ما كتب في السنين الأخيرة وأرجو أن يتقبل الأخ أبو أنور بصدر رحب آرائي التي تخالفه لأنه رجل صادق وصريح ويبحث عن الحق والصواب وإليكم تعليقي على ما كتب:-

١- يرى الدكتور أحمد أن هناك اختلافات جذرية بين الاتجاه الإسلامي والاتجاه الليبرالي فالاتجاه الليبرالي يقبل الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والمساواة بين جميع البشر والديمقراطية والقانون الوضعي والدستور المدني وحرية الرأي بدون قيود دينية والحريات الدينية

والحريـــات الفكريـــة في حين أن الاتجاه الإســـلامي (الدينـــي) يرفض كل هـــذا وبالتالي فلا فائدة من الحوار بينهما . وأقول ميزان القبول والرفض ليـــس هو الموقف من وثيقة أو فكرة أو مبـــدأ أو غير ذلك فالميزان الوحيد والصحيـــح علميا وعقليـــا هو القرآن الكريم والأحاديـــث النبوية فإذا كان الإعلان العالمي لحقوق الإنسان مقبولا من القرآن والسنة قبلناه وإذا كان أغلبه مقبولا وكان بعضه مرفوضا قبلنا ما هو مقبول ورفضنا المرفوض وكذلك الأمر بالنســـبة للديمقراطية وغيرها قال تعالى: ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينـــات وأنزلنـــا معهم الكتاب والميـــزان ليقوم الناس بالقســـط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز﴾ (٢٥) سورة الحديد فنحن كمسلمين هذا ميزاننا للأمور فما يقبله القرآن والســـنة قبلناه ومـــا يعارضهما رفضناه وما لا يتعارض معهما حكمنـــا فيه اجتهاداتنا وآراءنا أما الاحتجـــاج بالآراء الفقهية كما يقـــول الدكتور أحمد بـــأن الجماعات الدينيـــة تزن الأمور بهـــا لا بالدين أقول إننا نتعامل مع اجتهـــادات العلماء بتقدير كبير وبأخذ ما هو صحيح ونرفض ما هو خاطئ لأن اجتهاداتهم تحتمل الصواب والخطأ ولكن لا شك أن العلمـــاء هم ورثة الأنبياء وهم أصحاب الأختصاص في علم الإســـلام قال تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ ولو أعطينا لهم العلم الفكري كما نعطى للأطباء العلم الطبي لاســـتراح الناس وإذا كان الدكتور أحمد يعتبر كل اجتهادات العلماء خاطئة فعليه أن يعتبر اجتهادات مفكري العالم من العلمانيين وغيرهم شديدة الخطأ لأن عجزهم الفكري واضح جدا في كل القضايا الفكرية الأساســـية ابتداء من وجود الله ســـبحانه وتعالى

وصفاتـه وأسـمائه ومرورا بقضايـا الحرية والعدل وانتهـاء بالموقف مـن الإجهاض والـزواج المثلي وتناقضهم وعجزهـم العقلي حدث لأنهم يتناقشـون بلا ميـزان ولا مرجعية فكرية صحيحـة وأدلتهم ظنية لا قطعية قال تعالى: ﴿ومـن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير﴾ (٨) سـورة الحج فالكتب السماوية للعقل كالنور للعيون فالعيون بلا نور لا ترى حتى لو كانت سـليمة مئة بالمئة وكذلك العقل بلا نور وهداية من الله سيضل ولن يرى كثيراً من الحقائق الفكرية الأساسية والاجتهادية ولا يسـعى الإسـلام لتوحيد كل مبادئ وأفكار المسلمين بل توحيدهم على مـا جاء في القرآن والسـنة فالاختلافات الاجتهاديـة مقبولة وقد اختلف الصحابة واختلف علماء المسـلمين وتختلف الجماعات الإسـلامية والدول الإسلامية في مواقفها من حجم المشاركة الشعبية وشكل الشورى ومشاركة المرأة بالسياسة والموقف من كثير من الأحداث السياسية وغير ذلك وليس صحيحـا ما قاله الدكتـور أحمد بأنه لم يسـمع عن حوار سـلفي إخواني وحوار سـلفي - تحريري بل حدث هذا كثيرا وراجع أشرطة الشيخ ناصر الدين الألباني رحمة الله على سـبيل المثال وعموما اختلافات الجماعات الإسـلامية المعتدلة في أغلبها اختلافات اجتهادية تتسع لها دائرة الإسلام فـي حين أننا بالحوار الإسـلامي الليبرالي نريد أن يكـون الجميع أو على الأقل الأغلبية في دائرة الإسـلام أي نصحح ونرفض الانحرافات الفكرية الجذرية.

يتبع،

الحوار الإسلامي الليبرالي (٣)

سنكمل اليوم جانباً مما ذكره الأخ العزيز الدكتور أحمد البغدادي فأقول:-

١- ليس صحيحاً أن الإسلاميين يرفضون الديمقراطية إذا كان معناها الاحتكام للأغلبية فيما لا نص شرعي فيه بدليل أن الإسلاميين في أغلب الدول العربية يطالبون بالديمقراطية والدكتور أحمد يرى غالبا لونين اثنين فقط إما أبيض كالديمقراطية الغربية وإما غيرها فيعتبره أسود وليس بديمقراطية وأرجو أن يتواضع فكريا ويراجع كتابات الدكتور أحمد كمال أبو المجد وهو مفكر متخصص بل مرجع للقضايا الفكرية وسيجد أن جوهر الديمقراطية مقبول بل مطلوب إسلاميا لأنه جزء لا يتجزأ من الإسلام كما أن كتاب الدكتور عبد الحميد الأنصاري والذي عنوانه "الشورى وأثرها في الديمقراطية" يثبت أن الشورى الملزمة هي فكر إسلامي أصيل وأن الديمقراطية والعلمانية أمران منفصلان لا كما يعتقد الدكتور أحمد أن لا ديمقراطية بلا علمانية.

٢- ليس صحيح أن الإسلام ضد الدستور المدني وضد القانون الوضعي فالدولة الإسلامية دولة مدنية وليست دينية بالمفهوم العربي للدولة الدينية فالدولة الإسلامية لا يحكمها علماء الإسلام بل من يختاره الشعب وهي دولة يحدد دستورها الشعب لا الحاكم أو الحكومة ويمكن عزل الحاكم إذا انحرف والقوانين الوضعية مقبولة إذا كان لا يعارضها نص شرعي فهناك الكثير من القوانين الوضعية والاجتهادات البشرية في القوانين والأهداف والخطط والسياسات ....الخ.

٣- الدولة الإسـلامية ليسـت ضد الحريات الدينية للأديان السـماوية وغير السماوية وليس معنى الحرية الدينية بناء الكنائس والمعابد بلا حدود ولا ضوابط وليس معناها السـماح بحرية التهجم والسـخرية فحرية الاعتقاد والعبـادة مكفولـة وأي قيد ليس موجودًا في الكتاب والسـنة يمكن رفضه وهل يوجد مسـيحي في مصر أو بلاد الشام لا يستطيع أن يعتقد ما يشاء أو يواجه بما يمنعه من الذهاب إلى الكنيسـة؟ وأنا هنـا أتكلم عن تاريخ امتد لخمسة عشر قرنا فلا توجد مشكلة واقعية في هذا الموضوع وعموما فمبدأ وجود قيود إسـلامية أو علمانيـة على الحريات الدينية أو الفكرية شـيء طبيعي فالحريـة المطلقة فوضى ففي أمريكا يحاكم من يسـتخدم عبارات عنصرية ولا يقال أن هذا من حرية الرأي ومن حقنا أن نسأل لماذا القيود الإسلامية مرفوضة والقيود العلمانية مقبولة؟

٥- كل حريـة عاقلـة ومفيدة هـي حرية مقبولـة فلا مانع مـن نقد الحاكم والحكومـة والخطط والأهداف والقوانين وغير ذلـك والحوار العلمي بين المسـلمين وغيرهم مطلوب فقد حاور الرسـول صلى الله عليه وسلم كفار قريـش واليهود وغيرهـم وليس من حريـة الرأي أن يقول الإنسـان ما يشـاء وبأي أسـلوب خاصة عندما يتكلم في جريدة أو تلفاز وليتذكر الأخ الدكتور أحمد أن تأثير بعض الكلمات أشـد بكثير من المتفجرات وهذا نراه في الأمور الشخصية فما بالك بما هو أهم كالدين والوطن.

٦- يفرق الإسـلام بين الناس فلا يسـتوي المسـلم والكافر وتفرق العلمانية الأمريكية بين الأمريكي وغيره فترفض قوانينها دخول غير الأمريكيين إلى

أمريكا إلا ضمن ضوابط هذا مع إيمانها بالمساواة البشرية ولا يتساوى الرئيس الأمريكي في المحاكمة مع بقية الأمريكيين وسعت الشيوعية للمساواة المطلقة بين البشر حتى في دخلهم ومساكنهم وباءت بالفشل الكبير ولكنها لم تساو بين الشيوعي والرأسمالي وكذلك فعلت أمريكا مع الشيوعيين الأمريكيين خاصة في الحرب الباردة وكانت بريطانيا كدولة رأسمالية علمانية تتجسس على أحد رؤساء وزرائها في السبعينات لأن له ميولاً يسارية كما جاء في كتاب ألفه أحد رجال المخابرات البريطانية والتفرقة بين الناس بسبب عقائدهم وعلاقتهم بالله أو اجتهاداتهم في الدراسة أو العمل أمر صحيح لأن هذا ما أمرنا الله سبحانه وتعالى فمن يختار الإيمان والعدل لا يجوز أن يتساوى مع من يختار الكفر أو الظلم وهذا لا يعني أن التفرقة الدينية تدخل في كل المجالات بل مجالاتها محدودة ومشكلة التفرقة مشكلة وهمية إلى درجة كبيرة على المستوى الفكري والواقعي لأن ٩٥٪ من شعوبنا وأمتنا مسلمين وأتمنى أن نتعمق في المصطلحات التي ترفعها العلمانية والرأسمالية كالحرية والعدل والمساواة وسنكتشف أن الأهداف العلمية والشعارات لا مكان لها في عالم الفكر والواقع بمعنى أن الشيوعية كانت أكثر حرصا من الرأسمالية على المساواة بين البشر ومع هذا فالمساواة التي تدعو لها مساواة غير صحيحة والرأسمالية العلمانية حريصة على تطبيق الحرية على الأقل على شعبها ومع هذا فالحرية التي تدافع عنها حرية خاطئة لأنها أكثر من الحرية الصحيحة فالجرعة الزائدة من الدواء تضر ولا تنفع مع أنه دواء.

يتبع

الحوار الإسلامي الليبرالي (٤)

قال الأخ العزيز الدكتور أحمد البغدادي: "لا بد أن نكون صادقين في أنه لا توجد ديمقراطية ولا نظام ديمقراطي بدون علمانية، بمعنى فصل الدين عن الدولة وحيث لا مرجعية للتشريع سوى الدستور فقط ومن يسعى إلى حل توفيقي سيضطر إلى التلفيق والكذب على النفس" وسأحاول أن أعلق على ما قاله من خلال الآتي:-

١- نعم يا أخي العزيز لا يوجد حل توفيقي بين الإسلام وبين العلمانية بمعنى فصل الدين عن الدولة فالخلاف الفكري جذري لأنه خلاف بين الإيمان والكفر فإذا كان الليبرالي علمانيا ويفهم العلمانية بصورة صحيحة فلا يمكن الاتفاق معه ولكن ما أعتقده أن أغلبية الليبراليين العرب ليسوا علمانيين بل مسلمين يريدون الديمقراطية وحرية الرأي والانتخابات وحقوق الإنسان وهذه لا مشكلة عند أغلبية الإسلاميين في قبولها لأنها إما جزء من الإسلام كالشورى الملزمة وإما أمر يحقق مصالح الناس وبالتالي مطلوبة إسلاميا ولا يعني هذا أن التشابه تام بين الديمقراطية الأمريكية والديمقراطية الإسلامية.

٢- نعم يا أخي العزيز لا يوجد حل توفيقي بين الإسلام والعلمانية وليس هدف الحوار الإسلامي الليبرالي على المستوى الفكري إيجاد حل توفيقي بل لا بد من الحسم الفكري لأننا سنتتبع الحقائق الفكرية والتي نعتقد أن الحوار الصحيح سيثبت أنها مجسدة في الإسلام قال تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك

روحـا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتـاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم" (٥٢) صراط الله الذي له ما في السـموات وما فـي الأرض ألا إلى الله تصير الأمور﴾ (٥٣) سورة الزخرف، والحسـم الفكري سيوصلنا إلى المبادئ الإسلامية النقية ويزيل عنها التطرف والجمود والانغلاق والتقليد والتعصب المذهبي وسـيوصلنا إلى إعادة الاهتمام بقضايا الشـورى وحرية الرأي وسنقبل مـا في حضارة الغرب من إيجابيات أمـا الاختلافات الفكرية الاجتهادية فستبقى وسنقبلها بروح رياضية.

٣- قال الدكتور أحمد "وحيث لا مرجعية إلا الدستور فقط" وأقول من وضع الدسـتور أليسـوا بشـر فلماذا يقيد الدسـتور الأجيال القادمة أو الحالية فالفكـر العلماني يصنـع فكرا ثم يعبده كمن يصنع صنمـا ثم يعبده ويصبح الدسـتور بهذا المفهوم شـيئا مقدسـا مع أنه صناعة بشـرية والعجيب أن العلمانيـين يرفضون الخضوع إلى آيات الله وكتبه ورسـله مع أنها العلم الفكـري والحق واليقين ويعطون الدسـاتير التي هـي وضعية واجتهادية وطنيـة المرجعيـة " العلمية" أي هي الحق الذي علينـا الالتزام به حتى لو كتبـت قبل ثلاثمائة عام كما في أمريـكا فهم نقلوا المرجعية من العقل إلى الدسـتور وأحيانا يغيرون بعـض مواده فكيف يحتكمون إلـى مواد قابلة للتغيير فعقلهم يصنع ميزانا ثم يحتكم إليه ثم يغير الميزان ثم يحتكم إليه ثم يغيره وهكذا والطريف أنهم يعتبرون هذا التخبط تطوراً فكرياً.

١- لـو تعمقنا قليلا في المرجعية الفكرية للعلمانية الرأسـمالية لقلنا نعم قال العلم المادي أن بعض ما تقوله الكنيسة في "القضايا المادية" باطل وخطأ

ولكن العلــم المادي لم يقل يوما ما ان فصل الدين عن الدولة حق فلم يقل ذلك علم الكيمياء ولا علــم الفيزياء ولا علم الطب كما أن وجود انحرافات عن العلم المادي أو الفكري في المســيحية ليس دليلاً على صواب العلمانية أي أن العلمانيــة قائمة على إثبات خطأ الكنيســة والمســيحية لا على تقديم أدلة عقلية قطعية تثبت صواب العلمانية والرأسمالية وميزان العلمانية هو التصويت على مستوى الدولة والرأي الشخصي على مستوى الفرد أي افعل يا إنسان ما تراه حقا وصوابا وكل علماني يناقض أصحابه على المستوى الفكري في عقائده ومبادئه وأخلاقــه ومتى كان التناقض والضياع علماً إنــه الجهل بعينه ومتى كان التصويت مرجعا "علميا" في القضايا الفكرية الأساســية والتصويت في الحقيقة دليل عجز العقل العلماني عن الوصول إلى الحق والعلمانية قائمة على التصويت لا العقل كما تزعم.

٢- الإســلام هو العلم الفكري وأقول هل الإسلام علم (حقائق فكرية)؟ أم هو جهل (أســاطير وخرافات)؟ فإذا كان علماً فلماذا نفصله عن الدولة؟ وإذا كان علماً ولكن لا علاقة له بالدولة والسياســة فلنســأل علماء الإسلام هل هذا صحيــح؟ وإذا قالوا لا فلنلتزم به وإذا كانت هناك جماعات إســلامية متطرفــة (خوارج) فالواجب أن نكون نحن أصحــاب الإمام على كرم الله وجهه لا أصحاب العلمانية ولنســأل العلماء هل أمر الله ســبحانه وتعالى بفصــل الدين أو القرآن أو الشــريعة عن الدولة والجــواب معروف وجاء بلسان عربي مبين في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ثم جعلناك على شريعة مــن الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون (١٨) إنهم لن يغنوا عنك

من الله شـيئا وأن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين﴾ (١٩) سـورة الجاثية وقال تعالى: ﴿أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسـن من الله حكمـا لقوم يوقنون﴾ (٥٠) سـورة المائـدة ولنتذكر ان فصـل الدين عن الدولـة هو فصل للقرآن عن الدولة وهذا معناه أن مبادئ القرآن ستسـبب الضرر للدولة والشـعب وهذا يناقض بديهيات الإيمـان ولهذا فالعلمانية ساقطة فكريا ومرفوضة شعبيا عند المسلمين والعقل يقول لنفصل الزندقة والكفر والفسق عن الدولة ومبادئها وقوانينها لا أن نفصل كتاب الله وسنة رسوله. انتهى

أمور نتفق مع العلمانيين فيها

هنـــاك أمور نتفق فيهــا مع العلمانيين وكذلك مــع الليبراليين العرب ومن هـذه الأمور:–

١– لــو طالب العلمانيــون والليبراليــون بالديمقراطية بمعنــى حكم الأغلبية وحقوق الأقلية وحرية الرأي العاقلة لصفقت لهم الجماهير ولكنهم خلطوا مطالباتهـم هــذه بأن تكون الديمقراطية أعلى من الإســلام وأن تتســاوى الأقليات الدينية في كل شئ مع الأغلبية "الساحقة" المسلمة وأن تفتح حرية الرأي حتى للزنادقة والملاحدة والفاسـقين بـل أصبحوا كأنهم الناطقين الرسميين باسـم هؤلاء وهذا تطرف أفقدهم القواعد الشعبية وتأييد علماء الإسلام.

٢– لــو طالــب العلمانيــون بدولــة مدنية يحكمها الشـعب لا علماء الإســلام لأخبرناهم أنه لا يوجد في الإسلام دولة دينية يحكمها علماء الإسلام وهم بدورهم يتكلمون بالنيابة عن الله ويحكمون حياتنا السياسية والاقتصادية والاجتماعيــة فالدولة الإســلامية دولة مدنية يحكمها من يختاره الشـعب ودور العلماء أشبه ما يكون بدور الخبراء الدستوريين فلا يفرضون شيئا علــى الحكومة أو المجلس النيابي أو القضاء أو الصحافة ولكنهم يطالبون هؤلاء بالالتزام بالكتاب والسنة قدر ما يستطيعون وهذا أمر مطلوب من كل مسلم لأنه من بديهيات الإصلاح فعلماء الإسلام لا يتحكمون في الحكومة بل يطيعونها فيما لا يعارض الإسلام لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق

والغريب أن البعض يطالب الحكومات بالالتزام بالدستور والقوانين ولا يطالبها بالالتزام بأمر الله سبحانه وتعالى.

٣- نتفق مع العلمانيين في إبعاد الأديان المشوهة عن الحكم والسياسة والدولة لأنها في اعتقادنا أديان تم تشويهها عبر التاريخ حتى لو كانت أدياناً سماوية كالمسيحية واليهودية ونختلف معهم في أن الإسلام النقي دين مشوه بل هو دين صحيح وبالتالي يجب أن يكون المنبع العلمي الفكري للحكم والسياسة والعقائد والأخلاق ....الخ ونطالب بإبعاد العلمانية ومدارسها المختلفة الشيوعية والرأسمالية والنازية والاشتراكية والعنصرية عن الدولة والسياسة لأنها عقائد قائمة على الجهل.

٤- نتفق مع العلمانيين بأن هناك جماعات إسلامية متطرفة وبعضها إرهابي وهناك جماعات متشددة تعيش على التكفير والتنفير من دين الله وهي تشوه صورة الإسلام والمسلمين ولا تلتزم بما في مبادئ الإسلام من ضوابط للتكفير أو الجهاد أو الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ونطالب بإبعادها ليس فقط عن السياسة بل حتى عن الحياة الاجتماعية وعن التكلم باسم الإسلام ولكن لا نمنعها من إبداء آرائها وهذا ما فعله الإمام علي ابن أبي طالب رضي الله عنه مع الخوارج قبل أن يرفعوا السلاح.

٥- نتفق مع العلمانيين أنه ليس من حق أحد فرض الاجتهادات الإسلامية الفكرية أو السياسية على الشعوب المسلمة فهذا الحق ليس لعلماء الإسلام ولا للجماعات الإسلامية وأن الشعوب حرة في أن تختار ما تشاء من اجتهادات وما أكثر الاجتهادات الإسلامية وما أكثر تنوعها وخاصة في

السياسة والاقتصاد . ويمكن القول أنه لو طالب العلمانيون بذلك لحققوا إبعاد الدين عن أجزاء كبيرة من السياسة والاقتصاد ولكنهم أخطاؤا عندما طالبوا بإبعاد الدين نفسه لا الاجتهاد أي أخطأوا عندما طالبوا بإبعاد ما هو معلوم من الدين أي العقائد الواضحة والآيات والأحاديث الصحيحة وأقول كثيراً من الاجتهادات الإسلامية حولها اختلاف بين المسلمين ويجب أن يحسم ما يتطلب الحسم منها من خلال الاحتكام إلى العقل والواقع والشعب والصلاحيات الدستورية والقانونية والإدارية والسياسية ..... الخ.

٦- نتفق مع العلمانيين على ضرورة الانطلاق إلى العمل والخروج من دائرة الكلام والجدل حيث إن الأمة تواجه تخلفاً علمياً وتعليمياً وإدارياً وتجارياً وطبياً وفي وسائل النقل وفي كمية وجودة الخدمات .....الخ فالتعامل مع الواقع والأحداث والمشاكل هو من صميم الإسلام فالإسلام دين عملي بعكس العلمانية فهي فلسفية المنبع تعيش على الجدل والنقد والكلام والآراء ولو ركز العلمانيون والليبراليون جهودهم على جبهات العمل لا الكلام لحققوا نجاحاً كبيراً ولما اصطدموا بالإسلام والإسلاميين المعتدلين.

صفقة مع الليبراليين

قال الأخ العزيز بدر الناشـي أمين عام الحركة الدستورية "وماذا يستطيع أن يقـدم الليبراليون حتى نعقد صفقة معهـم؟" وتعليقي على ما قاله هو فيما يلي:-

١- بنـاء مجتمع ودولة هو قضية بحاجة إلى حشـد أكبر عدد ممكن من أبناء الشـعب وعلينا أن ننظر إلـى الإصلاح كقضية شـاملة فالإصلاح أكبر من الإصلاح السياسـي وأكبر من صفقـات حزبية لتحقيق أهـداف وطنية أو حزبيـة فالقضية الأهم هي حشـد أكبر عدد ممكن مـن المخلصين الواعين ضمن حركة وطنية قوية تحقق الإصلاح الشامل ولدى الليبراليين كثير من المخلصين الواعين وبدون توحيد الصفوف لن يتحقق إلا إنجازات محدودة وسيزيد الفساد أكثر وأكثر.

٢- أنـا من المقتنعين بأن الليبراليين اتجاههم ضعيـف لانه قائم على قاعدة فكريـة مشـوهة وضبابية وضعيفة ولا يسـتطيع أقوى عشـرة قياديين فيه أو حتى أحدهـم ضمان نجاحه في انتخابات مجلـس الأمة وما حدث في انتخابـات يوليو ٢٠٠٣ يثبت ذلك . ولكن مع ذلك أقول أن هناك كثيرا من الخير إن شـاء الله في كثير من الليبراليين فكثيـر منهم ذوو نوايا صادقة وكثير منهم لديهم خبرات سياسـية واقتصاديـة وثقافية جيدة وبإمكانهم أن يحققـوا الكثير لو تخلصوا من تشـوهات فكرية ومن متطرفين ليبراليين انسلخوا من انتمائهم للإسلام أو أعلنوا ولاءهم لأمريكا فأغلبية الليبراليين ينتمون للإسلام والوطن والأمة وهناك قلة متطرفة والمطلوب هو التخلص من كل المتطرفين سواء كانوا إسلاميين أو ليبراليين.

٣- تحتـاج الكويت والأمة إلى كثير جدا من الاعتدال والتشـاور والتسـامح واللين والحوارات والعلاقات الشخصية والشـفافية الفكرية وحسن الظن لأن التحديات كبيرة والأعداء كثيرون والتخلف التكنولوجي والاقتصادي والإداري والسياسي كبير فالمعركة معركة وجود وحرية لا معركة أحزاب سياسـية وانتخابات نيابية. والمفروض أننا وصلنا الآن إلى الحد الأدنى من الوعي والخبرة السياسية التي تجعلنا ندرك مرارة واقعنا وخطورة ما سيأتي إذا لم نجتهد في تجميع صفوف الشعب والأمة.

٤- أعلم أن لدى كل من الإسـلاميين والليبراليـين تجارب مريرة مع الطرف الآخر ولكن الماضي ليس بالضرورة عقبة في بناء المستقبل وهناك وسائل لحل الخلافات الفكرية والسياسـية سـواء كانت جذريـة أو اجتهاديـة من خـلال الاحتكام إلى العلـم وأهله وهناك الكثير من الأهداف المشـتركة يمكن الاتفاق عليها بسهولة كالإصلاح الإداري والتعليمي وغير ذلك.

٥- أتمنـى أن تكـون المرحلة المقبلة هي مرحلة الاعتـدال وأن يقوم كل من الإسـلاميين والليبراليين بإبعـاد المتطرفين والاجتهـادات المتطرفة فلنر إسـلاميين ينتقدون متطرفين إسلاميين وكذلك مع الليبراليين فمن الخطأ أن نوقف قافلـة الوطن لإقناع متطرف لا يريد أن يقتنـع أو لأخذ موافقة من ملحد لا نحتاج إليها لتسير القافلة خاصة أن أغلبية الشعب ليست مختلفة في دينها أو في أهدافها الرئيسـية وكلما اتجهنا للاعتدال أكثر أمكن أن نلتقي مع الآخرين ونسـير معا وقد جربنا التفرق والصراع ورأينا عجزنا أمام ما يحدث في وطننا وأمتنا من أحداث فهل نسـلك طريق التعاون والاتفاق أم نبقـى ننتظـر أن يغير الله ما بنـا ونحن لم نغير ما بأنفسـنا من مبادئ ونوايا!.

العلمانية تحارب الله

رفض القاضي الفدرالي الأمريكي جون.ي. جونز الثالث في ولاية بنسلفانيا طلب متدينين مسيحيين بتدريس نظرية التصميم الذكي في المدارس الحكومية ونظرية التصميم الذكي تقول "إن المخلوقات كائنات معقدة لا يمكن تفسيرها بنظرية التطور فلا بد من وجود قوى خارقة خلقتها" ويريد أولياء الأمور المتدينين تدريس مدرسي العلوم لهذه النظرية وتدريس الطلبة وجود فراغات في نظرية التطور لداروين واستشهدوا بأسئلة علماء فشلت نظرية داروين في إعطاء أجوبة عنها والمحزن أن هؤلاء تقدموا بطلبهم على أن نظرية التصميم الذكي ليست مبنية على الدين لأنه مرفوض دستوريا تدريس الدين ولهذا استخدموا في طلبهم وجود مصمم ذكي وليس الله سبحانه وتعالى وهذا يثبت أن العلمانية قطعت شوطا كبيرا في محاربة الله سبحانه وتعالى وقال القاضي إن نظرية التصميم الذكي ذات منبع ديني وفي هذا انتهاك للدستور الذي يفصل الكنيسة عن الدولة وقال أيضا إن القول بتعارض نظرية داروين مع الاعتقاد الديني خاطئ تماما وتعليقي على هذه القضية هو في النقاط التالية:-

١- حسم الخلاف بين العلمانيين والمؤمنين بالله سبحانه وتعالى يكون بالتركيز على القضايا الأساسية أي إثبات وجود الله سبحانه وتعالى وصدق الأنبياء وليس بالحوار حول القضايا الفرعية أو الواقعية أو مناهج التعليم لأن مثل هذا النقاش عادة ما يصعب حسمه لصالح أحد الفريقين لانه

لا توجد معايير متفق عليها تحسم الاختلاف ذا الجذور العقائدية فالمطلوب أن نعرف أين يكون النقاش؟ ونبتعد عن الجدل والجزئيات.

٢- أفهم أن تنادي العلمانية بفصل الكنيسة عن الدولة أو حتى فصل الدين عن الدولة أما أن يتم فصل المسيحية عن التعليم الحكومي وفصل كل المبادئ المسيحية فهذه حرب على المسيحية والدين كأن الدولة ومؤسساتها ملك فقط للعلمانيين فأين الحرية؟ أليس هذا استبداداً علمانياً واضحاً؟ أليس المتوقع من العلمانيين أن يدرسوا في مدارسهم كل النظريات الدينية والعلمانية ويتركوا للطلبة أن يؤمنوا بما شاءوا إن العلمانية تقول نريد إنهاء سيطرة الكنيسة ورجال الدين على الدولة ولم تقل إنهاء المسيحية وإبعاد الناس عنها والظاهر أن الزنادقة من العلمانيين هم الذين يسيطرون على أمريكا والغريب أن رئيس الدولة بوش الابن مسيحي متدين ولكن الدولة متطرفة في زندقتها.

٣- من المؤكد أن المحكمة تعتقد أن نظرية التصميم الذكي غير علمية وما يدرس في مادة العلوم يجب أن يكون أموراً ثبت علميتها والرد على هذا أن وجود الخلق أكبر دليل علمي على وجود الخالق وأثبت العلم المادي بأدلة كثيرة أن هناك كائنات لم تتطور منذ مائة وأربعين مليون سنة وأكثر وأثبت العلم المادي أن هذا الكون عظيم ومنظم وأن الإنسان مخلوق راق جدا وأرقى من الطائرات والحاسبات الإلكترونية وأعقد أنواع التكنولوجيا وشهد الأنبياء الصادقون وهم أفضل البشر على أن الله سبحانه هو الذي خلق الخلق ونتمنى فعلا ألا تدرس الجامعات إلا العلم لأنها إذا فعلت فلن تدرس

نظريـــات الملاحدة ولن تــدرس العلمانية ومفاهيمها عــن العدل والحرية والمساواة ولن تدرس الفلسفة فهذه الأمور ليست من العلم المادي وليست من العلم الفكري فالعلمانية بمدارســها المختلفة من رأســمالية واشتراكية وشــيوعية هي باعتراف أهلها آراء وليست (علماً) فلماذا يتم تدريسها في المدارس والجامعات.

٤- المهمة الأولى للعقل البشــري هو تمييز الحق عن الباطل في مجال العقائد والمبادئ وهذه المهمة أهم وأكبر بكثير من اســتخدامه في تحليل أوضاع سياســية أو اكتشــاف حقائق مادية أو تطوير منتجات صناعية أو إشغال العقل بطرق جمع المال أو الوصول للمناصب أو إشباع الشهوات وأوهمت العلمانية الناس أن العقائد قضايا هامشــية أو شخصية أو غيبية (ما وراء الطبيعة) أو تتعلــق بالآخرة لا الدنيا وهذا هروب وجهل وعجز فالعلمانية قائمة على خرافة "لا أحد يملــك الحقائق الفكرية" أي كلنا جهلاء وكل ما لدينا مــن إثباتات على عقائدنا ومبادئنا الدينيــة والعلمانية هي أدلة غير مقبولة علميا وأقول لماذا يتمســك العلمانيون بالعلمانية مع اعترافهم بعدم وجود ما يثبت صوابها والمضحك أن العلمانية قائمة على أدلة صحيحة أو غير صحيحة تثبت بها خطأ المبادئ الأخرى وليس على أدلة تثبت صوابها بمعنى أنك إذا أثبت أن فلانا فاسد فليس هذا دليلاً على أنك صالح.

٥- يقول العقل البشــري أن هناك خالقاً أو صانعاً لكل شــيء منظم فالطائرة بهــا خزان للوقود وعجلات للإقلاع والهبوط ومحركات وتكييف وأجهزة كهربائيــة ....الخ والمجنون أو شــديد الجهل هو الذي يقــول أنها تكونت صدفــة ونحن نشــاهد بأعيننــا وعقولنا أرضاً وبشــراً وكائنات وشمســاً

ونجوماً ومجرات ....الخ تسير في نظام دقيق فلا بد أن يكون هناك خالق لذلك وهو الله سبحانه وتعالى قال تعالى: ﴿هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين﴾ (١١) سورة لقمان، وقال تعالى: ﴿أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون (٣٥) أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون﴾ (٣٦) سورة الطور فالآيات القرآنية تخاطب عقولنا وتقول لا يمكن أن يخلق الكون نفسه بنفسه ولم يخلق الكافرون السماوات والأرض فلا بد إذا من خالق والأغلبية الساحقة من البشر قديما وحديثا مقتنعة بعقولها بأنه يوجد خالق عظيم وأعداد الزنادقة كانت ولا زالت قليلة والإيمان بوجود خالق ليست قضية فطرية أو وراثية بل قضية عقلية ويكفي أن يتأمل الإنسان في نفسه وجسده ويتعمق في معرفة ما يحدث في جسمه من تفاعلات كيميائية وما به من أعضاء ويسأل أهل الطب والأحياء حتى يقتنع بأنه أمام مخلوق عظيم فما بالك لو تأمل في ملايين الكائنات وعلم الفلك وعلم الكيمياء وعلم الفيزياء ....الخ وإذا علم أن كل علماء الأرض عاجزون حتى يومنا هذا عن خلق الذباب قال تعالى: ﴿يأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب (٧٣) ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز﴾ (٧٤) سورة الحج والعجيب قول أحد الفلاسفة "لا توجد أدلة تثبت وجود خالق ولا توجد أدلة تنفي وجود خالق" وأقول هذا ليس بكلام عاقل ناهيك عن عالم وهل توجد أدلة علمية مادية أقوى وأكثر من هذه المخلوقات وإذا

أضفنـــا إلى ذلك أدلة صدق الأنبياء وهي المعجزات التي رآها البشـر على مــدى تاريخهم وأخرها معجزة القرآن هــذه المعجزة التي لا زالت تتحدى البشــر إلى يومنا هذا والمعجزات تثبت صدق الأنبياء وتثبت أيضا وجود خالق جعلها معجزات لأن الأنبياء بشــر غير قادرين على إحياء الموتى أو شق البحر أو تأليف قرآن ولو تأملنا في شريعة الإسلام لوجدناها معجزة في أحكامهــا وتكاملها وشـمولها وواقعيتها ومرونتهــا .....الخ وأقول إن المشـكلة ليسـت في ضعف الأدلة أبــدا بل في عناد ومكابــرة الزنادقة والملحدين(١) والتشـكيك في أدلة أوضح من الشـمس فــي الصيف في بلد صحــراوي أمر ليس مقبــولاً وهو أمر ليس جديداً فقــد رفض الكفار على مــدى التاريخ معجزات الأنبياء الواضحة فاتهمــوا هذا النبي بأنه مجنون والآخر بأنه ســاحر والثالث بأنه كذاب....الخ وكانوا يشوهون الحقائق بالجدل والشـبهات وإثــارة قضايا أخــرى فيقولون إذا كنــت أيها النبي صادقــاً فأحي من مات من آبائنا وأجدادنا أو أرنا الله سـبحانه وتعالى وهكذا والفرق أن كفار عصرنا لديهم شهادات علمية ويحاولون أن يقنعوا النــاس أن العلم المادي ينفي أو على الأقل يشـكك في وجود الله وصدق الأنبياء ولنأخذ شبهة واحدة من الشبهات التي يثيرها بعض الزنادقة حيث يقولون إن وجود خالــق وراء كل مخلوق أمر مقبول عقليا ولكن علينا أن نقول أيضا أن لهذا الخالق من خلقه فالعملية ســوف تستمر إلى ما لا نهاية وهذا أمر لا يقبله العقل وأقول إن اختلافنا معكم هو هل يوجد خالـق لهذا

(١) يمكن الرجوع لكتابي " عجز العقل العلماني " لمزيد من التفصيل

الكـون؟ فإذا أعلنتـم أن دليلنا على وجود خالق قـوى وصحيح فإن الأمر ليس إلى ما لا نهايــة لأن الخالق اخبرنا أنه خالق لم يخلقه أحد وأخبرنا أن علم البشر واقتناعهم ومنطقهم محدود وهناك أسئلة لا يعرفون إجابتها مثل كيف يعلم الله ما في أنفسـنا؟ ومتى سـنموت؟ وماذا يحدث في العالم غدا؟ ومتى عاش أول إنسان على الأرض؟ وأين عاش؟ وعلى الإنسان أن يدرك عجز عقله وأن يلتزم بالحقائق الواضحة ولا يتبع الشبهات والظنون التي يثيرها الزنادقة والملاحدة.

٦- إذا كان من المتوقع أن تكون معلومات الفلاسفة عن عظمة الخلق محدودة لجهل كثير منهم بحقائق العلم المادي في علم الأحياء وعلم الطب وعلم الفلك ....الخ فإن الغريب أن نجد إنكار الخالق يأتي من بعض العلماء الماديين المتخصصـين بالجينات أو الفيزياء ....الخ فمثلا نجد عالماً متخصصاً مثل ريتشارد دوكنز وهو حاصل على جائزة نوبل في الجينات وهو علم حديث يتكلـم عن أصل الحياة وأن الجين ناتج من الانفجار النووي الأول ويقول لا يوجد خالق والـرد على هذا أن ما يقوله هو نظرية ورأي وليس حقيقة علمية عليها أدلة ماديــة واضحة وإذا كان هذا العالم يتكلم عن جينات في جسم الإنسان أو الحيوان أي عن واقع ملموس حالي فكيف يصل من خلال ذلك إلى التكلم عن أصل الإنسان والمخلوقات أي أمر حدث قبل آلاف السنين أي عليــه أن يتكلم عن أنواع الجينــات والعلاقة بينها....الخ فهذا هو الأمر الذي يعرفــه فعلماء المادة يتكلمون في أبحاثهـم ومؤتمراتهم العلمية عن أشياء تثبتها التجربة والمشاهدة والاسـتنتاج وهذا مـا يعتبرونه علماً أما النظريــات والآراء التي ليس لها أدلة علمية مادية فليسـت علماً باختصار

نحن نقبل كل ما يقوله العلم المادي ولكننا لا نقبل آراء ونظريات لم يقلها العلم المادي حتى لو قالها بعـض علماء المادة خاصة وأن هناك غيرهم من علماء المادة يعارضونها بشـدة وريتشارد دوكنز ليس عالماً في الفلك وليـس عالماً في الكيميـاء ولا الجيولوجيا ولا الطاقـة ولا مجالات علمية كثيـرة حتى في علم الأحياء فما يجهله في علوم المادة أكثر بالآف المرات مما يعلمـه والأرض بما فيها جزء صغير جدا من هـذا الكون فكيف يعتبر أبحاثه في الجينات وهي أصغر من dna والذي هو جزء من خلية أوصلته إلى أنه لا يوجد خالق.

٧- الهدف الذي يسـعي له الزنادقة والجهلاء من علمانيين وغيرهم من خلال التشكيك بوجود الله سبحانه وتعالى والقول باستحالة معرفة الدين الصحيح هو إيجاد العذر لهم في الابتعاد عن الله وكتبه ورسـله وتبني فصل الدين عن الدولة والاحتكام إلى آراء الشعب في القضايا العامة وآراء الفرد في القضايا الشـخصية فالقضية سياسية وليست علمية ولهذا صفق الشيوعيون لنظريـة دارون وحملوها ما لـم تقل وباختصار العلـم المادي برئ مما ينسـبه له الزنادقة ويرفض العقل السليم الكذب والغش والتزوير وتأكدوا أنـه إذا كانت الأدلـة المادية والفكريـة الواضحة التي تثبـت وجود الله وصدق الأنبياء مرفوضة أو ضعيفة فإن الأدلة التي تسـتند عليها العلمانية فـي إثبات صوابها أضعـف بكثير فلماذا يتمسـكون بهـا ويدافعون عنها ويقولون ستحقق الخير والعدل والحرية والسعادة للبشر ومع أن العلمانية تقـول إنها لا تحـارب الدين إلا أنها تحاول بكل وسـيلة إثارة الشـك في الأديان السـماوية فتجدها تثير قضايا وجود الله وصدق الأنبياء وتشكك

في الإنجازات العظيمة للمؤمنين والمسلمين القديمة والحديثة وتشكك في نواياهم وتدافع عن النظريات المخالفة لما تقول الرسالات السماوية في مجال أصل الإنسان أو ما يناسبه من تشريع وهي تفعل ذلك لأنه إذا ثبت أن هناك دينا صحيحا فيجب أن تلتزم به الدولة والسياسة والأفراد أي أن فصل الدين عن الدولة وهو العمود الفقري للعلمانية سيثبت بطلانه.

٨- يجب أن نعرف أن رصيدنا من العلم المادي محدود مهما حققنا من تقدم فعلم كل علماء الأرض عاجز عن خلق ذبابة واحدة وعاجز عن إحياء ميت مات قبل دقائق قال تعالى: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ وليس صحيح أن الإنسان أصبح يتحكم في حياته أو الكون ويجب أن نعرف أن الغرور العقلي العلمي مقبرة كبيرة فالماء الذي نشربه لم يصنعه الإنسان بل صنعه الله سبحانه وتعالى ولو أوقف الله الأمطار لهلك مليارات البشر ولو رفع الله الأوكسجين إلى طبقات الجو العليا لمات البشر كلهم خلال دقائق ولنعلم أن الإنسان ليس هو الذي يزرع النباتات في الحقيقة بل هو يأخذ ببعض الأسباب المادية من وضع البذور وتسميد التربة وسقيها بالماء أما نمو الأغصان والأوراق والثمرات والحبوب فهو بيد الله سبحانه وتعالى ولا شك أنه كلما زاد علم الإنسان كلما تواضع وكانت ولا زالت مساحة الجهل في عقولنا هي السائدة بمعنى أنه ما نجهله أكثر بكثير مما نعلم فالغرور بما لدينا من عقول أو علم أو شهادات خطأ قاتل وضعفنا كبشر واضح جدا عندما نمرض وعندما تواجهنا المصائب كالموت والمشاكل الاجتماعية قال تعالى : ﴿وخلق الإنسان ضعيفا﴾.

أوهام التطور الفكري

تدعـي العلمانية أن الظـلام الدامس والجهـل والظلم كانوا سـائدين في عالم البشـر حتى أشرقت شمس العلمانية وأنقذت البشر وهذا أمر غير صحيح فالتطور في العلـم المادي كان موجودا وتدريجيا فالزراعة كانت في تطور وكذلك وسـائل الري وصناعة السـفن وبناء المسـاكن والكنائس والمساجد والحصون والأهرامات وكانت هناك صناعة الحرير وطريق الحرير .....الخ وصحيح أن العلمانية شـجعت العلم المادي ولكن شجعه بدرجة أكبر التنافس الاسـتعماري والقومي والحروب والتنافس الاقتصادي بين الشـركات كما حدث في القرن العشـرين وهذا أدى إلى قفزات كبيرة في العلم المادي وإذا تكلمنا عن العلم الفكري فسنجد الحقائق التالية:-

١- إن الاختـلاف حول العقائد والمبادئ الصحيحة أي حول الإيمان والكفر ومعاني العدل والظلم والحرية والاستبداد والحقوق والواجبات السياسية والاجتماعية.....الـخ هـو أمـر كان موجـودا منذ وجود الإنسـان وهذا موجود في كتب الفلسـفة القديمة وكتب الأديان السماوية وكتب الملحدين والزنادقـة وكانت هناك كتب راقية كثيرة وحوارات فكرية قال الأسـتاذ هنترميد "وهكذا فإن المبتدئين سواء كانوا من الواثقين أم من غير الواثقين بأنفسهم يكتشفون عادة أنهم ليسوا وحيدين في تفكيرهم إذ أنهم سرعان ما يعلمون أنه لا جديد – إلا القليل جدا – تحت شـمس الفلسـفة ولا بد أن تمر بالمرء لحظة هائلة قد تملكه فرحة طاغية أو خيبة أمل عميقة عندما يكتشف

أنه شريك في الفكر لأفلاطون أو باركلي أو سبينوزا" (١). وهذه المواضيع لا زالت تناقش حتى يومنا هذا وبنفس الأدلة المؤيدة والمعارضة فالإيمان بالله واتباع رسله كان ولا زال تقدما فكريا والعكس مع الكفر والزندقة فالمؤمن القديم لم يكن أبدا إنسانا متخلفا فكريا بدليل أنه كان راقيا في عقائده وأخلاقه وتعامله ولا زال الأنبياء أفضل البشر وكنا ولا زلنا نعتبر المؤمنين من أصحاب الرسل من أفضل البشر وكان تقدمهم في العلم الفكري والالتزام معا وكانت هناك دول عادلة وأخرى ظالمة وسلام وحروب وكانت ولا زالت عقائد البشر متناقضة ولو كانت البشر قد تطورت فكريا بالعلمانية الرأسمالية لما وجدت عقائد دينية في عصرنا هذا وكذلك لما وجدت الشيوعية والاشتراكية والوجودية وغير ذلك من عقائد علمانية متخلفة أكثر من الرأسمالية.

٢- إذا أزال نظام حكم نظام حكم فمن الطبيعي أن يتهمه بالظلم والفساد والاستبداد....الخ وما أكثر التزوير في التاريخ خاصة إذا كان كتبه الأعداء فما بالك إذا أزال فكر فكراً أخرا وفعلت العلمانية ذلك مع المسيحية وغيرها فأوهمت الناس أن ما كان قبلها في أوربا هو ظلام وتخلف مع أن الأوربيين إلى اليوم يعتبرون عيسى عليه السلام أفضل البشر في أخلاقه ومبادئه ولا يعتبرون أحدا من مفكري العلمانية أو قادتهم السياسيين أو غيرهم أفضل منه هذا غير تقديرهم الأول لأرسطو وأفلاطون وسقراط وغيرهم ممن جاءوا قبل العلمانية بألف عام ولا زالوا يدرسون آراءهم

(١) ص ١١ الفلسفة أنواعها ومشكلاتها الأستاذ هنتر ميد ترجمة د فؤاد زكريا.

إلـى يومنا هذا وأقـرؤوا بعض كتب الفلاسـفة القدمـاء وعلماء الأديان السـماوية ستجدون علما وثقافة وأفكاراً وكان كثير منهم أرقى بكثير من أصحاب شهادات الدكتوراه في عصرنا هذا ومن الظلم الاعتماد على أقوال العلمانية فيهم واسـألوا كثيراً من كبار العلمانيين الغربيين هل قرأتم كتب ابـن القيم وما رأيكـم فيما كتبه أفلاطون أو سـقراط فابن القيم مثلا ألف أكثر من أربعين كتابا فقد ألف في التوحيد والعبادة والسـعادة والسياسة والإصلاح والجهـاد والطب وعلم الحيوان وكثير من العلماء بذلوا جهودا عظيمة في طلب العلم وفي تدريسـه بل بعضهم كان يسـافر لسنوات طويلة فـي ظل ظروف صعبـة طلباً للعلم وبعد كل هذا يتهـم هؤلاء وغيرهم أنهم متخلفون فكرياً.

٣- إذا كان هناك فلاسـفة ومفكـرون من أمثال فرانسـيس بيكون وفولتير دافعوا عن حرية الإنسان وأوجدوا حقوقا له وطالبوا بالمساواة البشرية فلا شك أن هذا تقدم إذا قارناه بالفكر المسيحي السائد في أوربا بالعصور الوسطى وبالفكر الإقطاعي المستبد ولكنه ليس تقدما إذا قارناه بالمسيحية الأصلية لأنها أرقى منه ونحن كمسـلمين نعرف أن الإنسان حر وأنه ليس عبدا قبل خمسة عشر قرنا وأن لا فرق بين أبيض وأسود وفكرنا الإسلامي حرر الإنسـان من الخرافـات والأصنام والأديان المشـوهة وحرره من العصبيات العرقية وحرره من الشـهوات وأمـره ببر الوالدين وحرره من الخمر والمخدرات وحتى التدخين وعلمنا كيف نحقق الاسـتقرار الأسري ونتحكـم بانفعالاتنا وغير ذلـك كثير وليس هذا مجال ذكـر آيات قرآنية وأحاديـث نبوية تثبت ما أقول ويكفي هنا ذكر قول عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

عندما ظلم ابن الوالي المسلم عمرو بن العاص- رجلاً قبطياً "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا" وإذا كان الأوربيون يجهلون وصولنا للحقائق الفكرية وأن شمس الفكر الراقي قد أشرقت مرات كثيرة مع كل نبي مرسل فإن هذه مشكلتهم وعليهم ألا يحاولوا إقناع الناس بجهلهم والطريف أن الأوربيين يظنون أنهم العالم كله وأن تاريخهم هو تاريخ العالم وهذا جهل واضح لأنهم على مدى التاريخ وإلى يومنا هذا لا يشكلون حتى سدس سكان العالم وتقوم العلمانية بتجاهل أو تقزيم المستوى الفكري للفلاسفة القدماء والكتب السماوية وعلماء الإسلام والمسيحية حتى يظن الناس أنها أرقى فكرا.

٤- إذا استطعنا أن نحيد التقدم التكنولوجي والإداري الغربي عن موضوعنا سنجد أن الفكر العلماني الغربي متطور بدرجة كبيرة في مجال الحريات والمشاركة الشعبية وحقوق الإنسان وسنجد أنه متخلف جدا في مجال العقائد والحياة الاجتماعية فلا يوجد أي فكر علماني لا راقيا ولا متخلفاً يبين ملامح علاقتنا بالله ولماذا خلقنا؟ وغير ذلك فتجد العلماني المسيحي والعلماني الهندوسي والعلماني الزنديق والعلماني البوذي ....الخ ولا يعتبرون هذا تخلفاً وضياعاً بل يعدونه تنوعاً وتسامحاً أما في مجال الحياة الاجتماعية ففكرهم يقول ليفعل كل فرد ما يقتنع به أما ما يتم تحديده قانونا فيختلف من دولة علمانية إلى أخرى وهذا يثبت أنهم لم يصلوا إلى الحق وهذا دليل قاطع على التخلف وعلى أن الرصيد الفكري للعلمانية محدود جدا ولا يعتبرون ما وصلوا له حقائق بل آراء يمكن تغييرها والفكر

الإسـلامي لديه رصيد كبير من الحقائق العقائدية والسياسية والاجتماعية والاقتصاديـة فهو فكر شـمولي وهـذه ميزة بحد ذاتهـا ودليل على تطور فكري ولكن العلمانية تعتبر الشمولية متصادمة مع حرية العقل ومتناقضة مع اختلاف أحوال البشـر والدول وهذا ليس صحيحاً لأن هناك مساحات كبيرة للاجتهاد العقلي في الإسلام.

٥- كثرة الفلاسـفة والمفكرين والكتب والجامعات وكثرة المدارس الفلسفية العلمانية منذ أظلمت الدنيا بأوهام العلمانية ليست دليل تطور فكري بل دليل جهـل وتخلف لأنه لا يوجد تراكم وبناء مرتفع بل يوجد تناقض واختلاف وهـدم وجـدل فكل مدرسـة فكرية تلعن أختهـا فما يوجد هـو خلط للحق بالباطل والصواب بالخطأ فهذه المدرسـة تركز على الماديات والأخرى على الروحانيات والثالثة على الأخلاق والرابعة على المصلحة والخامسة على الانتماء العرقي وهكذا وإذا سـألت هذا الفيلسـوف أو ذاك المفكر من أيـن أتيت بهذا؟ لقال من عقلـي وهذا العقل المجرد ليس هـو المنبع للفكر الصحيح فالفكر يحدده الله لنا سـبحانه وتعالى وواجب العقل أن يوصلنا لله ورسله لا أن يصنع فكرا.

٦- الفكر هو الحقائق الفكرية وليس هو الاجتهادات وهو المبادئ الصحيحة وليس الأدوات والأشكال والأساليب فلم يكن مثلا ممكنا في الماضي جعل شـعب يتكون من عشرة ملايين يشارك في اختيار الحاكم ولكن هذا أصبح ممكنا في العصر الحديث كما أن رصيدنا من معرفة وسائل محاربة التعصب العرقـي قد زادت فهذا تطور في الوسـائل والأدوات وليس في الفكر كما أن التطور في العلوم المادية ليس تطوراً فكرياً بل تطورا ماديا.

الليبرالية سراب

يحتاج من يطلق على نفسه كلمة ليبرالي أن يتعمق في العقائد والأحكام أي المبادئ حتى يقتنع أن الليبرالية سراب وإليكم بعض الأدلة:-

١- من الخطأ أن يظن الليبراليون أنهم أهل العقل وأن الآخرين ليسوا بأهله لأن الآخرين من رأسماليين أو شيوعيين أو مسلمين أو غيرهم أقنعتهم عقولهم بأن مبادئهم صحيحة ويستخدمون العقل في الاجتهاد في الفكر والواقع والسياسة والاقتصاد كما أن من بديهيات العقل أن لكل البشر الطبيعيين عقول.

٢- مما يثبت أن الليبرالية سراب هو أن الليبراليين مختلفين جذريا في عقائدهم وأخلاقهم وأهدافهم السياسية واقتناعاتهم الاجتماعية وآرائهم في الإصلاح ومعاني الحرية والحقوق الزوجية فما يجمعهم هو مساحة صغيرة من الأهداف العامة وبعض المبادئ ويجمعهم الاختلاف مع الاتجاه الإسلامي أو الإسلام أو المسيحية أو نظام الحكم أو غير ذلك. ومثل هذا التجمع هزيل لأنه ضعيف فكريا أو رد فعل بل إن نقاط الالتقاء بين الإسلام والرأسمالية العلمانية أكثر من نقاط الالتقاء بين الليبراليين أنفسهم. وتناقض الليبراليين واضح فتجد هذا ليبرالياً سياسيا ومحافظاً اجتماعيا والآخر ليبرالياً اجتماعيا ومحافظاً سياسيا والثالث ليبرالياً سياسيا وليبرالياً اجتماعيا بل تجد تحت مظلة الليبرالية من هو معروف بشيوعيته أو اشتراكيته أو رأسماليته أو فساده الأخلاقي أو تعصبه القومي

أو الوطني أو غير ذلك كل هؤلاء ليبراليون ولهذا اضطر بعض الليبراليين أن يقولوا إن ليبراليتي تعنى كذا وكذا وهذا يعني أن المطلوب أن نتعرف على ما يقصده كل ليبرالي من مبادئ واقتناعات وهذا أمر غير مقبول فكريا فالمبادئ ليست فردية ولهذا لا نستغرب عندما تجد ليبرالياً يدافع عن الأغنياء وليبرالياً آخر يكره الأغنياء وتجد منهم من يؤيد أمريكا ومنهم من يقف ضد أمريكا....الخ فالتناقض الليبرالي يثبت أن الليبرالية أشبه ما تكون ببيت العنكبوت.

٣- كلمة حرية كلمة جميلة ولكن ليس من الحرية الصحيحة أن يتخلى الرجل عن مسئولياته وواجباته نحو أسرته وليس من حرية الطالب عدم الالتزام بالدوام أو التكلم بالفصل أو حتى الصلاة بالفصل مع أنها عبادة وهناك أنواع كثيرة من الحرية فهناك الحرية الإسلامية والحرية الرأسمالية والحرية الشيوعية.....الخ فالحرية ليست شيئاً قائماً بذاته، فالذي يظن أن الحرية مبدأ مستقل أو مظلة فكرية أو سياسية يمكن أن يتجمع تحتها الناس هو إنسان واهم سواء كانت هذه المظلة تشمل المعاني الجميلة فقط أو القبيحة أو كليهما معا.

٤- يمكن وصف الليبرالية بأنها لا تزيد عن "سوق عكاظ" أو زاوية الهايد بارك في لندن فهي منبر للحوار والنقاش والجدل ويمكن إضافة بعض المبادئ لها وهذا يعني أنها لا تصلح مظلة يجتمع تحتها المخلصون ولا تصلح أن تكون مبادئ لفرد ناهيك عن حزب أو دولة فالمبادئ تشمل جوانب متنوعة وكثيرة في حياتنا فهي تحدد علاقتنا مع الله سبحانه

وتعالى ومع الرسل ومع الحق ومع الباطل ومع أعراقنا ومع انفعالاتنا وشهواتنا وعلاقاتنا الزوجية والاجتماعية وتعاملنا مع المال والأفراح والمصائب....الخ فهي أمانة ثقيلة حملها الأنبياء والصالحون وليست "شوية" شعارات ومبادئ.

٥- قالت الفتاتان الصغيرتان لأبيهما الذي يستمع للرأي الآخر: "أنت ليبرالي" فقال: لا أنا محافظ "وأقول من الخطأ أن يصنف الإنسان نفسه تحت مسميات مشوهة أو غامضة أو ناقصة فالصحيح أن يقول الإنسان أنا شيوعي أو رأسمالي أو أنا مسلم أو أنا بوذي فالعمود الفقري لهوية الفرد هي عقائده لا اجتهاداته السياسية الصحيحة أو الخاطئة فعندما يقول الإنسان أنا مسلم تتضح لنا مبادئه الأساسية ونرى الاتفاق والتشابه الكبير بين المسلم والمسلم أما عندما يقول أنا علماني فلا ندري هل هو رأسمالي أو اشتراكي أو شيوعي أو وجودي أو عنصري أو غير ذلك وكذلك عندما يقول الإنسان أنا ليبرالي أو محافظ أو معتدل أو وطني أو قومي أو يساري أو يميني أو معارض....الخ فهذا إنسان لم يصل إلى الاقتناع بمبادئ شاملة وواضحة ولنتذكر أن أساس الوحدة هي الوحدة العقلية (الفكرية) وليست الوحدة العرقية أو الوطنية أو وحدة المصالح الجزئية ولهذا عندما ترى كثيراً من الأحزاب السياسية بلا قاعدة فكرية فاعلم أنهم مختلفون وضعفاء لأن نقاط التنافر الفكري بينهم أكبر بكثير من نقاط الاتفاق السياسي وهذا الضعف يتضح كلما سارت قافلة الحزب واصطدمت بأرض الواقع والقرارات والمواقف والدول والقوانين....الخ.

٦- المطلوب هو إعدام مصطلح الليبرالية لأنها فكر ضائع مشوه لا يصلح لأن يكون مبدأ ناهيك عن مبدأ صحيح فأحيانا تكون الليبرالية والعلمانية وجها لعملة واحدة وأحيانا يقول الليبراليون لسنا علمانيين بل نحن مسلمين وهي مصطلح يعيش تحته من لا يمكن تصنيفهم فكريا وسياسيا فلا بد من رفع هذا الغطاء وإصلاح مبادئ المخلصين من الليبراليين حتى نتخلص من الجاهلية الفكرية التي هي المنبع للجاهلية السياسية والجاهلية الاجتماعية والاقتصادية ولنلتزم بما التزم به الأنبياء وهم أفضل البشر فهم أهل العدل والحرية والتسامح والمبادئ الصحيحة الشاملة والواضحة التي تبنينا كأفراد وأسر ودول وبالتأكيد إن الليبرالية لن تكون أكثر عدلا ولا حرية وتطوراً لأن الأنبياء كانوا ولا زالوا وسيبقون أفضل البشر فلا يخدعنكم الاتهامات التي توجه للإسلام بأنه رجعي أو سطحي أو قديم.

٧- إذا كانت الليبرالية تعني حرية التجارة والتملك وأهمية القطاع الخاص فهذه قضية فطرية وليست اختراعاً ليبرالياً وهي أمور متفقة عليها البشرية والفكر الشيوعي هو فكر استثنائي وشاذ أما إذا كانت الليبرالية تعني حرية الآراء والنقد وحسن الاستماع فهذه أمور بديهية ضمن ضوابط ومن الخطأ المبالغة في أهمية حرية الرأي مع أهميتها فإعطاؤها أكبر من حجمها خطأ علمي فالشعوب تعرف سلبيات وعيوب الأنظمة البوليسية الظالمة لأنها ترى الواقع السياسي والإداري والاقتصادي واضحا أمام أعينها والناس تتكلم حتى في أشد الأنظمة الاستبدادية فالأخ يثق في أخيه والصديق يثق في صديقه وهكذا ومن قال إن حرية الرأي ستسقط الفاسدين

والظالمين وما أكثر الأنظمة الظالمة التي تفتح الأبواب لحرية الرأي وفي نفس الوقت تجد من يؤيدها من منافقين وأصحاب مصالح من عسكريين أو أعراق أو أحزاب بل إنهم يصفونها بالعدل والأمانة والوطنية. فالشعوب ليست جاهلة أو مغفلة أو لا تعرف الحقائق وما يجعل الناس يثورون عادة هو الفقر والظلم أو تبدل عقائدهم لا غياب حرية وهذا ما حدث في دول الاتحاد السوفيتي ولنتذكر أن الموظف الأمريكي لا يستطيع أن ينتقد في المجتمع الليبرالي الأمريكي رؤساءه في العمل سواء كان هذا في القطاع الخاص أو العام وتتعامل الحكومات الأمريكية مع الرأي العام بطريقة ذكية فهي تشوه معلوماته فيضيع فتوجهه كما تريد ولا تؤثر كثيراً حرية الشعب السياسية في توجيه "السياسة الأمريكية" التي تخدم الأغنياء.

٨- لا شك أن حرية الرأي الرشيدة تسلط الأضواء على الفساد والمفسدين وتساهم في تقليل الفساد في المجتمع إذا توفر العلم والالتزام بالمبادئ عند الشعوب ولكن ندرك شرعا وعقلا وواقعا أن المجتمعات البشرية ليست مثالية وأن البشر ليسوا مثاليين ولو فتحنا أبواب الكلام على السلبيات والعيوب بلا ضوابط لكشفنا سلبياتنا وعيوبنا للأعداء ولحطمنا معنويات كثير من الناس ولحصلت مشاكل اجتماعية كثيرة ومن المعروف أن ليس كل ما يعرف يقال وأن هناك أسراراً للناس والدول وأن كثيراً من المشاكل يمكن حلها إذا تم مناقشتها من قبل المسئولين وأبعد عنها سفهاء الناس الذين يثيرون الفتن والعصبيات أو يتحركون بناء على المصالح كما حذرنا الإسلام من تتبع عورات الناس أو التجسس عليهم أو شتمهم

فالمطلوب أن ينشغل الناس فيما ينفعهم في دينهم ودنياهم لا في إشباع فضولهم وتطفلهم وجدلهم وتجريح بعضهم بعضا بنشر السلبيات السياسية والاجتماعية والعرقية ....الخ.

٩- إذا فتحنا أبواباً واسعة لحرية الرأي فتأكدوا أن ٩٥ ٪ ممن يتحدثون في السياسة والإصلاح ليسوا متخصصين فيهما وأن ٩٥٪ ممن يتحدثون عن التعليم والتربية ليسوا متخصصين وهكذا بل ان كثيرين من المتخصصين عليهم أن يصمتوا لأن المعلومات المتوفرة عندهم قليلة أو لأنهم يفتقدون القدرة على التحليل الصحيح فكم تحدث كثيرون في الفكر الإسلامي وهم جهلاء وكذلك الأمر في الحديث عن التاريخ وحياتنا الاجتماعية وواقعنا السياسي وعلاقتنا بالعالم وغير ذلك وبالتالي ففتح الأبواب الكثيرة لحرية الرأي هو من أهم الأبواب التي يدخل منها الجهل ليشوه عقول الناس وأعمالهم والمفروض أن تكون الأولوية لتطوير العلم ومؤسساته لا حرية الرأي للجهلاء والمفسدين.

١٠- من الطبيعي أن يكون دور الفرد في الليبرالية كبيراً لأن مبادئها محدودة جدا فتجد التطرف في الحب والتطرف في الكراهية والتطرف في الحذر والتطرف في التبذير والتطرف في العنصرية والتطرف في الكسل وهكذا وهذا أو غيره سيحدث لأن الأغلبية الساحقة من المجالات لا توجد لليبراليين مبادئ فيها فاقتنع بما تشاء أو افعل ما تشاء وهذا فيه تشجيع كبير للجهل والمبادئ الباطلة وإعطاؤها الشرعية باسم الحرية والليبرالية.

الليبرالية والاتجاه المعاكس

عرف الأستاذ العزيز محمد مساعد الصالح في مقالة في القبس بتاريخ ١٤ مايو ٢٠٠٦ الليبرالية بأنها الاتجاه المختلف مع الاجتهاد البشري للأحزاب الدينية، والليبرالية في اعتقاد أبي طلال ليست تنظيماً ولا أحزاباً والرد على هذا الرأي هو:-

١- الليبرالية بالمعنى الذي ذكره أبو طلال هي رد فعل ورد الفعل يقبل لفعل محدد كعدوان أو قرار أو قول أو غير ذلك فمثلا أغلب شعوب العالم لها رد فعل معارض للاحتلال الأمريكي البريطاني للعراق وأغلب إن لم أقل كل محدودي الدخل يعارضون إلغاء الدعم عن المواد الغذائية الرئيسية وهكذا وعموما فرد الفعل هو شئ مؤقت ولا مجال لتطبيقه في مجال العقائد والفكر وتجميع كل من يعارض الاجتهادات الإسلامية في اتجاه واحد لأن الذي يعارض الإسلام أو الاجتهادات الإسلامية قد يكون شيوعيا أو رأسماليا أو وجوديا أو عنصريا أو طبقيا أو فاسقا أو فاسدا أو مسلماً ضائعا...الخ. لأن الإسلام عدو الزندقة (الشيوعية) وعدو الإلحاد (الرأسمالية) وعدو التعصب العرقي وعدو الشهوات المحرمة والأهواء المنحرفة.....الخ. وإذا كان من باب العنصرية يقال المثل المصري "إيه اللي لم الشامي على المغربي" فإن من باب العقل والعلم لا يمكن أن نجمع الشيوعي والرأسمالي والذي بدون ضمير ....الخ في تجمع واحد أو يكون لهم فكر محدد لبناء الدولة والفرد فالاتفاق على معارضة الاتجاه

الإســلامي شئ لا يستحق أن نضع له اسماً في عالم الفكر أو السياسة سواء كان هذا الاســم ليبرالياً أو أي أسم آخر ولنتذكر أن العلمانية تتساوى هنا مع الليبرالية لأن العلمانية معناها اللادينية أي الاتجاه المعاكس للدين.

٢- يقصد بالليبرالية الديمقراطية وحرية الرأي وأحيانا التحرر والاختلاف مــع مبادئ المجتمع وأحيانــا الفرد بلا مبادئ محددة أي هو إنســان حر فكريا وأحيانا يقصد بالليبرالية العلمانية وهكذا والأسـتاذ محمد أعطاها تعريفاً جديداً وهي معارضة الاجتهادات الدينية غير الصحيحة والليبرالية مصطلح بشــري يعتمد معناه على ماذا يقصد به من يستخدمه؟ وفي أي بيئة يتكلــم؟ وحتــى في أي زمــن؟ وهذا يتطلــب أن يتم تحديد معنــاه بدقة قبل الدخــول في حوار حوله وإذا قلنا إن الليبرالية هي الجوانب الصحيحة في الــدول الغربيـة العلمانية أي الديمقراطيــة وحرية الرأي فقط لا غير فإننا لسنا بحاجة إلى استخدام مصطلح الليبرالية وعلينا أن نطالب بالديمقراطية وحرية الرأي مباشــرة حتى لا يساء فهمنا فالمطلوب أن يتم إعدام مصطلح الليبرالية وكذلك الأمر في استخدام مصطلح العلمانية حيث يقصد بها بعضهم العلمية والتفكير العلمي والعقلانية والواقعية وهذه أمور مطلوبة وأساسية وإســلامية فلنطالب بها مباشــرة بدون ربطها بالعلمانية لأن العلمانية في حقيقتها هي اللادينية وفصل الدين عن الدولة وهذا جهل فكري عظيم أولا وكفر وشــرك ثانيا. و ما ذكرته يبين أن الليبرالية قضية بحاجة إلى تسليط الأضواء عليها بعمق حتى نفهمها فهما صحيحا ولنتذكر أن الفكر هو القاعدة التي يتم عليها إصلاح الدولة والفرد فإذا كانت هذه القاعدة فاسدة فلن يتم

الإصلاح والبناء حتى لو صلحت النوايا واجتهد المخلصون.

٣- وهناك من يعرف الليبرالية بأنها احترام آراء الآخرين وقبول الاختلاف وأقــول نحن نتحدث عن علم أو جهــل أي حق وباطل أو صواب وخطأ ولا أدري كيف احترم آراء لعقائد باطلة أو آراء فاسدة لمعنى الحرية أو آراء غير صحيحة لمعنى المساواة خاصة إذا كانت هذه الآراء جذرية وأساسية أي مطلــوب مني أن أحترم الكفر والزندقة والشــرك وفلســفة الفاســقين واقتناعات الفاســدين وأقول احترام الأفراد مطلوب مهما كانت عقائدهم ومحاورتهم مطلوبة كما فعل الرســول ﷺ مع المشركين فيحاورهم بأدب رفيع وأخلاق عالية قال تعالى: ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ وقال تعالى: ﴿وقولا له قولا لينا﴾ وقال تعالى: ﴿لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم﴾ وقال تعالى: ﴿ولا تســبوا الذين يدعون من دون الله فيســبوا الله عدوا بغير علم﴾ فلا سخرية ولا جدال ولا شتم ....الخ فالحوار الراقي جزء من مبادئنا وإذا كان بعض المسلمين لا يلتزمون به فهذا انحراف يجب أن يرفض لا أن تدعــي الليبرالية أنها اخترعت الحوار الراقي العقلي فهذا أمر نعرفه منذ خمســة عشــر قرنا كما أن الاختلاف بين البشر في عقائدهم وأعمالهــم هو أمــر نتعايش معه بواقعيــة وعقلانية فلا إكــراه في الدين وغير ذلك وليس هذا مجال المزيــد وعموما فالليبرالية لها أكثر من معنى فهــذا الليبرالي يقــول ليبراليتي تعني كذا وكذا والثانــي يقول أنا ليبرالي سياســيا ومحافظ اجتماعيــا والثالث يقول العكس والرابــع يعطيها معنى مختلفاً وهكذا وهذه مأســاة فكرية وعقلية تثبت أن الليبرالية تقليد أعمى أو

تفكيــر أعور ومما زاد الطين بلة كما تقول العــرب أن كثيراً من الليبراليين يتكلمــون في الليبرالية وهي موضوع فكري وليســوا من أهل العلم بالفكر وليســوا حتى مثقفين فكريا وســلط الضوء على تخصصهم العلمي وسترى ذلك واضحا وهذا أحد مشاكل العرب الحالية حيث يتكلم في كثير من فروع العلم من ليسوا متخصصين فيها.

٤- من البديهيات أن الاجتهادات الإســلامية متنوعة ومتناقضة ســواء كانت تتعلــق بحكم تــارك الصلاة أو بيع الأجل أو الموقف مــن حكومة أو حدث سياسي أو جماعة إسلامية متطرفة أو منحرفة أو حتى المعتدلة وما أقوله يعرفه من يقرأ الكتب الإســلامية ومواقف أهــل العلم ومواقف الجماعات الإســلامية. فمجال الاجتهاد في الإسلام كبير والاختلاف مع الاجتهادات الإســلامية موجود وبكثرة عند المسلمين فلا يوجد مبرر عقلي لوجود تكتل يكــون مختلفاً مــع الاجتهادات الإســلامية لأنها اجتهــادات مختلفة أصلا ومتناقضة ويمكن معارضتها وبشــدة وأنت من داخل الاتجاه الإســلامي ومن داخل دائرة المسلمين ومن بديهيات الإسلام أن الاختلاف الاجتهادي شــئ طبيعي ولكن يجب أن ينطلق من معايير إســلامية تستند للقرآن الكريم والســنة النبويــة وإذا كان الليبراليون صادقين في الانتماء إلى الإســلام فعليهــم أن يكونــوا أصحاب علــي رضي الله عنه إذا كانــوا يعتقــدون أن الاتجاه الإسلامي فيه خوارج ومتطرفون ورجعيون وجامدون لا أن يحاربوا كل الاتجاه الإســلامي بمن فيهم أصحاب علي، إنهم في هذه الحالة أقرب إلي خندق كسرى وقيصر منهم إلى خندق المسلمين.

٥- لـو لم توجد اجتهادات إسـلامية فلن توجد ليبراليـة لأنها اتجاه معاكس فهي إذن لا شئ فكريا فالفكر سواء كان صحيحا أو غير صحيح هو مبادئ دينية أو علمانية تحدد عقائدك والأسس لا قناعاتك السياسية والاجتماعية والاقتصادية فالإسلام فكر وكذلك الشيوعية والعلمانية الرأسمالية وهكذا فالليبرالية ليسـت فكرا وليسـت حزباً سياسـياً حقيقياً وليست جمعية مهنية فهي بمواصفاتها العكسـية لا تصلح أن تكون تنظيماً أو حزباً وكما قلت في مقال سـابق لا تصلح حتى لبناء فرد ناهيك عن بناء حزب أو دولة وقوتها هي فقط في تشـويه الحقائق الفكرية ونشـر الضياع السياسـي وتشـويه المخلصـين الواعين ولهذا ننتقدها حتى يعـرف الناس خطرها وضررها، فالعلمانيـة والليبرالية كانتا ولا تزالا تشـعلان الفتن الفكرية والسياسـية وتمنعـان مجتمعاتنا من الانطلاق لتحقيق نجاحـات أكبر في العلم والعمل فالأمة ليسـت لديها أزمة فكرية إطلاقا قال رسـول اللـه ﷺ "تركتم على المحجة البيضاء ليلهـا كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالـك" فالليبرالية تنتظر أن يأخذ الاتجاه الإسـلامي موقفاً حتى تكون ضـده فإن كان مثلا موالياً لحكومة قالت الليبرالية عن علماء المسـلمين إنهم وعاظ السلاطين وإسلام أمريكـي وإذا ثار ضد حكومة اتخذت الليبرالية الاتجاه المعاكس وسـمت الاتجاه الإسلامي بالإرهابي والمتطرف ولو تعمقنا في أقوالهم وأفعالهم لاقتنعنا أن حقيقة خلافهم ليس مع اجتهادات إسلامية بل مع الإسلام نفسه لأن الاتجاه الإسـلامي مهما أخذ من مواقـف لن يرضيهم لأن الخلاف في الأسس الفكرية لا الاجتهادات الفكرية أو السياسية.

٦- إذا كان الليبراليون مختلفين مع اجتهادات إسلامية فنقول لهم ما هي الاجتهادات التي تختلفون معها؟ وما الذي يثبت أن اجتهاداتكم صحيحة؟ ونحن لا نجد لكم مراجع من كتب أو مفكرين يشرحون مبادئكم. وإذا كان الاختلاف بين الليبراليين جذريا حتى في معنى الليبرالية فما بالك بمبادئها ومراجعها ومفكريها فالليبرالية إذن شئ غامض وضبابي لا يمكن التعامل والتعايش معها ناهيك عن الاقتناع والالتزام بها فإذا أحسنت الظن ببعض أهلها فهم مخلصون ومجتهدون يريدون الديمقراطية وحرية الرأي وإذا رأينا أقوال وأعمال بعض أهلها وجدنا أنها والعلمانية وجهان لبضاعة واحدة وأقول وأكرر إن مشكلة الليبرالية العربية فكرية في أساسها وليست سياسية فهي ملوثة فكريا وعلى المخلصين والصادقين من أهلها تحديد هويتهم حتى لا يختلطوا بمن يخالفهم فكريا ويحمل اسم الليبرالية أيضا. لنفترض جدلا أن الليبراليين انتصروا على الاتجاه الإسلامي فإن هذا سيجعلهم يواجهون عالم السياسة والواقع فعليهم تحديد مبادئهم ومواقفهم ولأنهم رد فعل فسيختلفون ويتصارعون فيما بينهم بوسائل سلمية أو عنيفة ولهذا تنتشر في الأفكار العلمانية مبدأ "الثورة تأكل أبناءها" فإذا كان هذا يحدث في المبادئ المحددة نسبيا كالشيوعية والثورة الفرنسية فما بالك بالليبرالية وما أقوله حدث مع العلمانية لأنها قائمة في أساسها كرد فعل لانحراف رجال الدين المسيحيين ولهذا أخذت تتصدع وأنتجت الرأسمالية والشيوعية والاشتراكية والنازية.....الخ لأن معركتها مع رجال الدين انتهت بانتصارها.

٧- لا أعترض من ناحية إسلامية على أن يركز الليبراليون على الديمقراطية حتى لو طالبوا بإجراء انتخابات كل سنة لاختيار الحاكم والحكومة والمجالس النيابية ولا اعترض على المطالبة بزيادة حرية الرأي حتى لو زادت مساحتها عما هو متاح في أمريكا فمبادئ الإسلام تشجع كثيرا مما تجتهد فيه الليبرالية في هذه المجالات وليس هذا مجال التفصيل وإذا كانت هناك اجتهادات إسلامية ضد الديمقراطية أو الأحزاب أو أنواع من حرية الرأي فهناك اجتهادات إسلامية تؤيدها بل إن الانطلاق من قاعدة إسلامية فكرية في الدفاع عن زيادة مساحة الشورى وحرية الرأي وحقوق الإنسان يعطي هذه الاجتهادات قوة فكرية وشعبية قوية وإذا كان المقصود مخالفة الاجتهادات الدينية (الإسلامية) هو مخالفة اجتهادات تخالف آيات قرآنية أو أحاديث نبوية أو حقائق مادية أو حقائق "عقلية" أو حقائق واقعية فإن هذا الأمر لا يتطلب إيجاد تكتل منفصل قائم على "رفض الاجتهادات الإسلامية الخاطئة" لعلماء مسلمين أو جماعات مسلمة أو حكومات مسلمة فإبعاد المسلمين عن جمود فكري أو ضعف عقلي أو فهم خاطئ للواقع أو تطرف أو تقليل مساحة الشورى والديمقراطية وحرية الرأي أو غير ذلك هو أمر مطلوب من علماء المسلمين ومثقفيهم وهذه عملية سار فيها علماء من أمثال الشيخ محمد عبده والشيخ حسن البنا والشيخ الألباني والدكتور أحمد كمال أبو المجد والأستاذ فهمي هويدي وغيرهم كثير جدا وتم قطع شوط كبير في ذلك وهؤلاء اختلفوا مع الانحرافات الفكرية سواء كانت عقائدية أو تعليمية أو سياسية أو غير ذلك والمفروض أن

نركز الجهود اليوم على وســائل ترشيد اجتهاداتنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية من خلال إنشاء المعاهد العلمية المتخصصة وتوفير الأموال لها وتشجيع الاجتهـاد الجماعي وتشجيع الدراسات الميدانية وتطوير علم وثقافــة وتجربة أهل العلم والاختصاص وغيرهم لا أن تتركز جهود أغلب الليبراليين على التشـكيك بالإســلام أو أهله والصراع الفكري والسياســي معهم أو تشجيع الفتن الفكرية والسياسية أو محاكمة التاريخ أو فتح ملفات قديمة أو التركيز على قضايا هامشـية أو الجدل الفلسـفي والسياســي أو غير ذلك وإذا كان المسـلم الليبرالي حســن النية فهناك من يستغل الأخطاء الاجتهادية بنوايا سيئة حتى لو كان يزعم أنه ينتمي للمسلمين.

الليبرالية الحديثة

قال الأخ العزيز ناصر العبدلي في جريدة القبس بتاريخ ٢٠ أغسطس ٢٠٠٦ "يرى كثير من المراقبين أن جوهر الليبرالية يعني التركيز على أهمية الفرد وضرورة تحرره من كل نوع من أنواع السيطرة والاستبداد، فالليبرالي يصبو على نحو خاص إلى التحرر من التسلط بنوعيه: تسلط الدولة (الاستبداد السياسي) وتسلط الجماعة (الاستبداد الاجتماعي)" وقال: "ويرى المراقبون أن الجذور التاريخية لليبرالية في الحركات التي جعلت الفرد غاية بذاته، معارضة في كثير من الأحيان التقاليد والأعراف والسلطة رافضة جعل إرادة الفرد مجرد امتداد لإرادة الجماعة" وقال: "إن نشأة الليبرالية الجديدة، لتميزها عن الليبرالية القديمة إنها بدأت في منتصف القرن الماضي (العشرين) وتمثل في حقيقتها ردة فعل على إخفاق الليبرالية الكلاسيكية في حماية العقل الغربي من آثار التطرف الديني خاصة مع تحوله في مرحلة من مراحل التاريخ الأوربي إلى نزعات فاشية وقومية كما حدث في ألمانيا وإيطاليا" وقال: "ويرى كثير من المتابعين أن فكرة الليبرالية ليست اجتهادا لشخص واحد، بل أسهم أكثر من مفكر غربي في منحها شكلها الأساسي" وتعليقي على ما كتب الأخ ناصر هو في النقاط التالية:-

١- لا شك أن الفرد مهم ومن الضرورة تحريره من أنواع السيطرة والاستبداد والقيود سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو عقائدية ولكن ما معنى الاستبداد؟ وما معنى السيطرة؟ وما هي القيود الخطأ؟ فهل طاعة الحكومة استبداد؟ وهل الالتزام بالقوانين سيطرة وقيود؟ وباختصار إن الحرية

والعدل والالتـزام بالنظام وغير ذلك كلمات عامة لهـا معاني مختلفة في أجـزاء كثيرة منها فهناك حرية رأسـمالية وهناك حرية إسـلامية وهناك حرية شيوعية وكذلك مع العدل وبالتالي فإن التعامل مع هذه المصطلحات كأن معانيها واضحة ومتفق عليها أمر غير صحيح. فيمكن أن نسمي فرض الضرائـب الحكومية في أمريكا تسـلطاً مالياً على الفرد ويمكن أن نسـمي تجريم الزواج بأكثر من واحدة في الغرب تسـلطاً اجتماعياً فلا يوجد فكر بلا تسـلط إن صح التعبير ولا نستطيع أن نقول نحن مع حرية الفرد المطلقة ليفعل ما يشـاء فـالأب الصالح مقيد بقيـود وواجبات كثيـرة نحو أبنائه وزوجته والموظف مقيد بلوائح والمواطن مقيد بقوانين وهكذا.

٢- فـي كل مجتمع هناك أفراد وهنـاك جماعة وهناك أقليـة وأغلبية فيمكن أن نصنـع مبدأ يقول إنه مع مصلحة الجماعة لأنهـا أهم من مصلحة الفرد وهذا خطأ فهناك شرعا حقوق لكل طرف يجب الالتزام بها وهناك مساحة ضبابية بينهما يمكن أن تختلف الاجتهادات فيها والقضية ليسـت فقط فرداً وجماعـة بل هناك شـعب وحكومة وهناك أغنياء وفقـراء وهناك أقوياء بعرقهـم أو حزبهـم أو دينهم أو منصبهم وهناك أقليـة أو ضعفاء وهناك عمال وأصحاب عمل فمن الخطأ أن نصنع مبادئ وفلسـفات تميل وتسـاند طرفاً على آخـر لأن هذه الأجزاء متكاملة ويمكـن أن تتعايش إذا التزمنا بالإسـلام وأعطينا كل ذي حق حقه أما المبادئ غير الإسـلامية فلن تنجح في إيجاد التوازن والعدل لأنها قائمة على الجهل.

٣- القضية الأساسـية هي تحريـر العقل من الجمـود والخرافات والضياع أي الجهل من خلال دراسـة العقائد والمبادئ الدينية والعلمانية وبحرية

وبأسلوب علمي فالقضية أكبر من تسلط سياسي أو اجتماعي فالمطلوب تشجيع العقل على التفكير بالكون ومن خلقه؟ وما هو المطلوب منا؟ وهذه القضية (التمرد العقلي) ليست صناعة علمانية أو ليبرالية بل هذه دعوة الرسل منذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم وتأتي السياسة والاقتصاد كفروع لعقائد صحيحة أو غير صحيحة وهذا يعني ان التعامل مع القضية كأنها صراع بين الفرد والجماعة أو الحرية والاستبداد هو تعامل خطأ لأنه لم يتعمق في الكون والحياة بمختلف جوانبهما وعندما يقتنع عقلنا بأن (الإسلام) هو الحقائق الفكرية وإن العلمانية والليبرالية وغيرهما أوهام فكرية فسيكون الإسلام هو الميزان الذي نقيس به المبادئ الأخرى والتقاليد فليس كل ما تقوله الرأسمالية خطأ وليس كل التقاليد والأعراف بالية ومرفوضة وليس كل الطاعة والقيود خطأ وما يعطيه الإسلام للفرد أو للجماعة من حقوق وما يفرضه عليهما من واجبات هو حق وصواب علينا الالتزام به كما نلتزم بالحقائق المادية.

٤- الليبرالية سواء كانت قديمة أو حديثة هي مبادئ قليلة بل يختلف أهلها حتى في تعريفها وبافتراض أن كل مبادئها صحيحة فهي فكر جزئي لا يسمن ولا يغني من جوع ولا تصلح لبناء فرد ناهيك عن مجتمع كما أن الحقائق الفكرية وكذلك المادية ليست هي شئ "نصنعه" أو نطوره أو نخترعه بل هي أشياء موجودة علينا أن نكتشفها أي علينا أن نسلك طريق العقل السليم وسنصل إليها لأنها موجودة فعلى سبيل المثال نحن لم نصنع خواص الماء بل اكتشفناها واستخدمناها فاستفدنا وكذلك الأمر مع الحقائق الفكرية فالإيمان حقائق علينا أن نكتشفها والحرية الصحيحة موجودة علينا أن

نعـرف كيف نصـل إليها فالحقائـق الفكريـة ثابتة ولا تتطـور، فهي مثل الحقائـق المادية ولكن التطور يكون في الإجتهـادات والأدوات الفكرية، فالقـول بأن "الليبراليـة" صنعها أكثر من مفكر غربـي أمر صحيح ولهذا فهـي خطأ لأن المبادئ لا يتم صناعتها والعقول البشـرية المجردة صنعت الشيوعية والاشتراكية والرأسمالية والوجودية....الخ وحاولوا أن يطوروا فيها وتسـتفيد من التجارب الواقعية ولكن هذا الأسلوب لا يوصل للحقائق الفكريـة أبدا بدليـل أن العقل العلماني أنتج النازية والشـيوعية بعد ثلاثة قرون من التفكير والقراءة والحوار فالبشـرية تخرج من حفرة عميقة لتقع في أخرى ثم تأتي الرأسمالية الحديثة لتلغي القديمة وكذلك الليبرالية وهذا ليس تطوراً فكرياً بل تخبطاً لأن هذا الأسـلوب لا يوصل إلى الحقائق حتى لو اسـتمرينا آلاف السنين وعلى البشـرية ألا تجري وراء سراب جديد ولا أعتقد أن من الحكمة أن يكون مبدأنا في الحياة هو التعلم من الأخطاء سواء على مسـتوى الـدول أو الأفراد فللأخطاء ثمن كبير فـي كثير من الأحيان ومن لا يعرف الحق سيبقى وللأبد يعاني من أخطائه العقائدية أو السياسية أو الاجتماعية.

٥- الفكـر الصحيح موجـود وهو الذي جـاء به الأنبيـاء والحقائق الفكرية واضحة فالزنا ليس حرية شـخصية وعقوبة القاتـل المتعمد القتل وليس السـجن وأمرهم شورى بينهم ولا فضل لعرق على آخر...الخ ولكن تعرض هـذا الفكر إلى غزو علمانـي غربي خلال القرون الثلاثـة الماضية وإلى جمود فكـري من بعض المسـلمين أو متاجرة من المنافقـين وتعرض إلى تطرف من بعـض الجماعات الإسـلامية وإلى إهمال وجهـل من كثير من المسـلمين وهذا وغيره جعل بعضهم يظن أن البشرية ستضل أو تتعصب أو

تعادي العقل السليم إذا تمسكت بالإسلام وهذا كله جهل وضياع فالفكر الصحيح المتطور وصلنا إليه من قبل خمسة عشر قرنا ونجحنا في تطبيقه في فترات طويلة، فهو ليس مبادئ خيالية لا تصلح لواقع البشر. فالمسلم الملتزم بوعي هو فرد راق في عقائده وأخلاقه وأعماله وهذه نماذج واقعية نشاهدها بأعيننا وبعقولنا وكلما زاد إيمانه وتمسكه كلما زاد رقيه والأنبياء هم أفضل البشر لأنهم الأكثر تمسكا بالدين فكيف تكون سعادة الدولة بفصل الدين عنها والبحث عن مبادئ علمانية ليست لديها أبدا أدلة علمية على صوابها فالعلمانية أشبه ما تكون بمجنون أو جاهل اقنع الناس أنه يعتمد في حياته على العقل والعلم بل أقنعهم أيضا أن الإسلام ليس دين العقل والعلم.

٦- قال الأخ العزيز ناصر "ولكن في الفضاء المحلي وهذا سبب كتابة المقال لا تعني هذه المفردة "الليبرالية" شيئا ألبته ولا تعدو أن تكون تقليعة من البعض في زمن شحت فيه الأيدلوجيا وتقطعت السبل بأصحابها ولم يجدوا أمامهم سواها " وأقول عرفنا كمسلمين قبل خمسة عشر قرنا أن الأيدلوجيات الدينية السماوية التي قبل الإسلام تم تشويهها وأن الأيدلوجيات الفلسفية العلمانية خاطئة أيضا، أما من يدعي الليبرالية في مجتمعنا فهو إن كان صادقا فهو متمسك بسراب من المصطلحات وقليل من المبادئ أو فرد يريد أن يتبع شهواته وهواه أو مصالحه أو مفاهيمه العنصرية أو عقائده الشركية أو أغلب هذه فلم يجد مظلة يستظل بها إلا الليبرالية لأنها مبادئ قليلة يسهل إدعاء الانتماء لها وباختصار الليبرالية فكر جزئي وضبابي ومخترق.

حالة ليبرالية صعبة

لا يعـرف الليبراليـون حتى بديهيات الحوار والنقـاش حول المبادئ ولا يعرفون الأسـلوب العلمي في الوصول إلى الحقائق الفكرية (وليس المادية) فيخلطون الحوار حول المبادئ والعقائد بالحوار حول الواقع أو التاريخ أو الأفراد ولا يترددون في استخدام الشائعات والاتهامات الباطلة بل إن كثيراً منهم يردد شبهات قالها أعداء الأمة من مستشرقين وغيرهم ممن كانت أهدافهم اسـتعمارية أو كتبوا ما كتبوا عن جهل فظيع بالقرآن أو الأحاديث النبوية أو التاريـخ الإسـلامي أو حتى الواقع الإسـلامي واعتمدوا فـي كتاباتهم على مراجع تاريخية أو مصادر واقعية من جهات غير محايدة بل معروف عداؤها للإسلام والمسلمين ومعروف أن أهداف السياسة تختلف عن أهداف الباحثين عن العلم والحقائق فالسياسـة تشـوه الحقائق في سـبيل تحقيق أهدافها غير المشـروعة ولا تستغرب إذا وجدت ليبرالياً مقتنعاً بأن فصل الدين عن الدولة يحقق مصالح الناس وأدلته في هذا الموضوع واهية ولا تستند إلى أدلة علمية أو وجـدت ليبرالياً مقتنعاً بأن القرآن كتاب لا علاقة له بالسياسـة أو وجدت ليبراليـاً مقتنعاً بأن الفتن والمشـاكل هي السـائدة منذ وفاة الرسـول ﷺ أو وجدت ليبرالياً (وهم كثيرون) يسخر من واقعنا ولا يرون إيجابيات كبيرة تم تحقيقها خلال الخمسـين سـنة الماضية ولا تعجب إذا رأيت ليبرالياً ينتقل في حـواره من موضوع إلى آخـر إلى ثم ثالث فرابع دون أن يسـتطيع أن يرتب مواضيع الحوار بصورة صحيحة وأنا لا أبالغ في ذلك فاسألوا الليبراليين عن الترتيـب الصحيح للقضايا المختلف حولها سـتجدهم يبدؤون بمعالجة قضايا

واقعية أو يريدون أن يحلوا مشـاكل تاريخية أو يريدون إجابات محددة عن قضايا اجتهادية أو يجادلون في قضايا واضحة كالشـمس عند المسلمين بل عند من لديه إلمام بسـيط بالقرآن والسنة وهذا يثبت أنه عندما تتكلم الليبرالية يتكلـم الجهل ونجد عند الليبراليـين "غروراً عجيباً" فهـم لا يعترفون بعلماء المسـلمين المخلصين الكبار المتخصصين بالقرآن والسـنة فهذا عندهم متخلف وهذا جاهل بالواقع وهذا لا يفهم شـيئاً وهذا من وعاظ السلاطين وهذا أخطأ مرة فتم رمي ملفه وهكذا وهذا جهل فظيع لأن العلماء غير معصومين وهذا من البديهيات التي يعرفها المسلمون كما أن وجود اجتهادات غير صحيحة لا يقلل إطلاقا من مكانة علماء كبار لديهم علم كبير بالقرآن والسـنة وشـهد العلماء والناس بعلمهم ومكانتهم ولا شـك أن علمهم مهما انخفض فهو أكبر بعشرات المـرات من علـم ليبرالي يجهل ليس تفسـيرات آيات القرآن بـل يجهل حتى أساسيات اللغة العربية ولا يعرف حتى أسماء علماء الإسلام ناهيك عما قالوا واجتهدوا فالليبرالي غير المتخصص في اللغة العربية ليس من حقه أن يشك أو يرفض إعجاز القرآن اللغوي لأنه يتكلم عن جهل والمثل الشعبي يقول "من لا يعرف الصقر يشويه" أي من لا يعرف الصقر من الطيور المشابهة له ويعرف قيمته يعتبره طيرا عاديا فيشـويه فيأكله ومـن بديهيات العلم أن المتخصصين في مجال العلم هـم الأقدر على تقييم الإبداع والابتـكار والإعجاز فالطبيب يفهم الابتكارات الطبية ويعرف قيمتها وكذلك الأمر مع المهندس والكيميائي..... الخ وعلم السـحرة أن ما فعله موسى عليه السلام معجزة وليس سحراً لأنهم يعرفون حدود السحر وأقول متى يفيق الليبراليون الضائعون ويدركون أنهم صدقوا اتهامـات علمانية غربية لديننا وتاريخنا وواقعنا وقوانا الشـعبية المخلصة

متى يدركوا أنهم أحد ضحايا الإعلام الأمريكي والأوربي وأنهم عاشـوا في غربة فكرية وجسدية كبيرة بعيدين عن العلماء وبعيدين عن الملتزمين بالإسلام وبعيدين عن الصراط المستقيم وبعيدين عن العقل الواعي الذكي وأنهم عاشوا في أكاذيب كثيرة أوهمتهم أن الغرب هو بلاد التسـامح والوسـطية والحرية والعدل وما أقوله لا يتعارض مع تحقيق نجاحات كبيرة للغرب في بعض هذه المجالات ومتى يدركوا أن مرارة واقعنا حدثت لابتعادنا عن الإسـلام ومتى يدركـوا أن ما نحصده في واقعنا من خير وشـر هو مـا زرعناه بأيدينا وما نستحقه وأن نصيبنا من فوائد الإسلام مرتبطة بحجم ما نعلم ونعمل منه فهناك كثيـرون يعرفون الحق(الإسـلام) ولكنهم لا يلتزمون به بـل إن بعض هؤلاء منافقون وكفار حتى لو كانت أسـماؤهم إسـلامية ويقولون إننا نؤمن بالله ورسوله وأذكر هنا أن ما نراه في واقع كل شعب من خير وشر هو ما يستحقه ويعكس ما فـي عقل هذا الشـعب من وعي وعلم فكري ومادي وما في نواياه من إخلاص وفسـاد وما في إنتاجيته وأعماله من حسـن وسيئ. وفي واقعنا الإسـلامي نرى كثيرين يعرفون الحق ولكنهم لا يلتزمون به سـواء كان هذا الحق الالتزام بالصـلاة أو إتقان العمل أو الصدق في القول وباختصار فإن الواقـع صنعته الشـعوب بأفرادها وأسـرها وقبائلها وأحزابهـا وأغنيائها وفقرائها وحكوماتها.....الـخ وإذا كان الليبراليون متناقضين في عقائدهم ومبادئهم فمن الطبيعي جدا أن يتناقضوا ويختلفوا في فهمهم وحلولهم لقضايا الواقـع السياسـية والاجتماعية وغير ذلك فالميزان العقلـي عندهم "موازين متناقضة" فمن الطبيعي أن تكون مواقفهم "متصادمة" والتناقض والاختلاف لا يصنـع التقـدم والقـوة وإذا كان الليبراليون ضاعوا فـي معرفة الحق من

الباطل في قضايا واضحة كوجود الله سبحانه وتعالى وأدلة صدق الأنبياء وخطأ فصل الدين عن الدولة ألا يضيعوا في قضايا تحتمل أكثر من رأي كمعاني الحرية والمصلحة والاعتدال وتقييم الحكومات والقوة السياسية وغير ذلك وتجد من صفات الليبراليين أنهم يشغلون "عقولهم" فيما لا ينبغي أن ينشغل العقل به فهم كفيلسوف يفكر بقضايا كثيرة حديثة وقديمة وسياسية وعقائدية وفلسفية فهذا الليبرالي يريد أن يكتشف نفسه ولا أدري ماذا سيكتشف فيها؟ والليبرالي الآخر يحلم ويسعى لمجتمع مثالي لم ولن يوجد أما الليبرالي الثالث فهو يريد أن يعرف الحق في كل مشاكل العلم من فكرية وسياسية أما الرابع فهدفه أن يكتب التاريخ اسمه والخامس فقد التوازن في موقفه من الحكومات فهو في عداء لها جميعا وليس راضيا حتى عن حكومة واحدة من كل الحكومات العربية فهو يعاديها جميعا والسادس وهو جزء لا يتجزأ من حكومة ظالمة ويدافع عن ظلمها باسم الأمن أو الواقعية أما السابع فيرى بأن كل مشاكلنا ستحل إذا طبقنا القانون مع أن الأغلبية الساحقة من مشاكلنا لا علاقة لها بالقانون ويرى الثامن أن شعبه هو أفضل الشعوب العربية وأنبه هنا إلى أن التعصب العرقي مرض شائع في الوطن العربي وهو موجود عند كثيرين من الليبراليين أما التاسع فيرى أن الديمقراطية تعالج كل الأمراض والعاشر يعيش في عزلة عن الناس وفي جزر معزولة فكريا حتى لو كتب المقالات وألف الكتب والحادي عشر يطبق المبادئ حرفيا والثاني عشر واقعي أكثر من اللازم ولا يؤمن بأهمية المبادئ وهكذا . وأقول لا حدود لأنواع الليبراليين وعقائدهم واقتناعاتهم حول القضايا الرئيسية وإذا كان هذه حالة الليبراليين المخلصين فهناك من يدعون الليبرالية من حكومات

فاسدة أو مثقفين هدفهم الشهرة أو سياسيين هدفهم المناصب أو فساق هدفهم الفسـق أو أغنيـاء هدفهم المال وقد يقـول قائل المتاجـرة بالمبادئ تجدها تستخدم أحيانا الشعارات والمبادئ الإسلامية وأقول نعم ولكن من السهل أن ينكشف كثير جدا من المتاجرين بالإسلام لأن مبادئ الإسلام كثيرة ويجب أن يلتـزم بها المسـلم في أعمالـه وأقواله وأسـرته ومواقفه وهـذا لا يعني أن المسـلمين مثاليون أو على درجة واحدة من الإيمان والالتزام ولكن هناك حد أدنى لا يقبل أقل منه في حين أن الليبراليين بلا التزامات شخصية وبلا ملامح لها في كثير من العقائد والأعمال فالفاسـق قـد يكون ليبراليا والعنصري قد يكون ليبراليا والمنافق قد يكون ليبراليا والكذاب قد يكون ليبراليا وقد تكون الأسـرة الليبرالية متنكـرة حتى للغة العربية ومواليـة كل الولاء للغرب وهذا يعنـي أنه من المسـتحيل في أحيان كثيـرة معرفة الصادق مـن الكاذب ممن ينتسـبون لليبراليـة . وأقول لليبراليـين أنتم بحاجة لأن تخرجوا من مسـتنقع التظليل الفكري والإعلامي وبحاجة أن تتمردوا على أراء الفلاسـفة وجدلهم وأنتم بحاجة لأن تقتربوا كثيرا من علماء الإسـلام وقبل ذلك من آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسـول ﷺ فالعلـم الفكري أمانة عظيمـة وكان علماؤنا حذرين في الحديث في الإسـلام (العلم الفكري) وفي العقائد وقد سئل الإمام مالك بن أنس رحمه الله عن ثمان وأربعين مسـألة فقال في أثنتين وثلاثين لا أعلم في حين أن العلمانيين لو سـألتهم مائة سؤال لأعطوك إجابات عنها كلها ولم يقولوا لا أعلم سـواء كانت هذه الأسئلة فكرية أو واقعية وأقول إذا كان المطلوب إجابات خطأ فالأمر سهل جدا فمن السهل القول أظن أن الجواب كذا أو بناء على تجربتي الشخصية في الزواج أرى أن الحق كذا أو بناء على كتاب

قرأتــه فأرى أن الجواب كذا وهكذا وهذا هــو الجهل والضياع بعينه إذا كان الحديث عن القضايا الفكرية والأساسـية وهــذا هو الجهل في العصر الحديث فهو جهل نقرأه كل يوم في كتابات مثقفين وأصحاب شـهادات جامعية وعليا فهــذا يتكلــم عن العلاقة بــين الدين والسياســة وهو لا يفهم لا فــي الدين ولا السياســة وهذا يتكلم عن الإصلاح وهو لا يعرف هل الإصلاح يبدأ من الشعب أو الحكومة وهذا يدافع عن حــرب ظالمة والرابع لا يعرف الفرق بين الدولة الدينيــة والدولة المدنية ومع هذا يعطي محاضــرة فيهما والخامس يفتي في التاريــخ معتمداً على معلومات ومصادر ملوثة والســادس يتكلم عن التخطيط والخطة وهو يجهل بديهيات هذا العلم وما أكثر هؤلاء وهكذا . وأقول وأحذر إن من أخطر الأمور أن يتكلم المسلم في الإسلام بناء على رأيه وظنه وقراءاته والمطلوب أن يتــم الرجوع إلى العلماء وبصورة جماعية ونتعلم منهم ويمكن أن نختلف معهم في القضايا الاجتهادية ولكن بعد أن نسمع ونفهم ما يقولونه ولكن في القضايا الأساسية فلا مجال للاجتهاد والرأي من العلماء ناهيك عن غيرهــم والإيمان هو اتبــاع العقل الصحيــح الذي أثبت وجود الله سـبحانه وتعالى وصدق الأنبياء وهو اتباع عقائد وشريعة الإسلام والكفر هو جحود الله سـبحانه وتعالى أو رفـض اتباع أنبيائــه واتباع العلمانية بمدارسـها المختلفة من رأسمالية أو اشتراكية أو شيوعية ويخطئ جدا الليبراليين وغيرهم ممن يظنــون أن بالإمكان الحياة ببعض المبادئ لأن الحيــاة تتطلب كثيراً من المبــادئ الصحيحــة فعلى سـبيل المثال ما أكثر الفســاد والشــر والعداوات والتنافر والصراع والكراهية التي تحدث نتيجة ضياع العلمانيين في "حريتهم" فــي توجيه الاتهامــات للناس بل حتى لبعضهم بعضاً فمــا أكثر من يصدقون

الشائعات التي تقال عن خصومهم فهذا متطرف وهذا إرهابي وهذا من وعاظ السلاطين وهذا أخذ رشوة وهذا تحرك بناء على مصالحه الخاصة أو مصلحة عرقه وهكذا. فعندهم استعداد كبير لتصديق الظنون فليس هناك منهج علمي ليبرالي صحيح يحمي الناس من ظنون الليبراليون وألسنتهم وأقلامهم فهم لا يتثبتون من المعلومات ويتعجلون في نشر الشائعات ويصدقون الكلام حتى لو جاء من فاسق أو عدو والنتيجة الطبيعية لمثل هذا السلوك هو فقدان الثقة في كثير من المخلصين والنظرة التشاؤمية للواقع.

الليبرالية والمصلحة

يجهل الكثيرين أهمية العقائد والمبـادئ ويظنون أنها قضايا تقتصر على علاقة الإنسـان بالله سـبحانه وتعالى وبالعبادة وببعض القضايا الشخصية والاجتماعية وهذا الاقتناع كارثة علمية لأن العقائد والمبادئ هي التي تحدد لنا معاني التوحيد والعدل والحريـة والمصلحة والأخلاق ....الخ وتحدد لنا من المفسـدون ومن المصلحون؟ ومن هم الأصدقاء؟ ومن هم الأعداء؟ وهي التي توضح لنا معاني الإصلاح والفسـاد وبعث الله سبحانه وتعالى الأنبياء ليعلمونا المعانـي الصحيحة للتوحيد والعدل....الـخ والعقائد غير الصحيحة كالعلمانية والليبرالية تعطينا إجابات خطأ وهذا لا ينفي وجود بعض الصواب في هذا المبدأ المنحرف أو تلك العقيدة الضالة ومشـكلة السياسيين العلمانيين وكثير من الليبراليين أنهم يتعاملون مع الواقع دون أن يحددوا بطريقة علمية مـا معنى العدل؟ ومـا معنى المصلحة؟ وكيف يحققون مصلحة الشـعب؟ كان هتلـر يرى أن مصلحـة ألمانيا تتحقـق إذا تعصب الألمان لعرقهـم واقتنعوا أنهـم متميزون عرقيا عن بقية البشـر ويعتقد كثير من المسـئولين الأمريكيين أن مصلحـة أمريـكا تتحقق إذا خضعت لها الدول ونالـت أكبر قدر ممكن من المصالح الاقتصادية وتظن أن من مصلحتها أن تحارب الإسـلام والشـيوعية والاشتراكية وأن تصدر مبادئها للعالم بل تظن أن من مصلحة أمريكا أن يكذب الإعـلام الأمريكي وأجهزة الدولة على الشـعوب بمن فيهم الشـعب الأمريكي فأخبار القتل والتعذيب والسـجون السـرية والمؤامرات يجب إخفاؤها لأن هذا يحقق "مصلحة" أمريكا. وما تم فضحه من جرائم يتم تقبلها من الحكومة

والشـعب الأمريكيين لأن تحقيق مصلحة أمريكا يأتي أولا ولو حاولت الصين أن تفعل ما تفعله أمريكا أي لو حاولت العمل على تحقيق مصالحها بالتعريف الأمريكي للمصلحة لأعلنت أمريكا عليها الحرب وهذا يعني أن العلمانية تواجه مشكلة كبيرة جدا وهي جهلها المعنى الصحيح للمصلحة وبالتأكيد إن التعريف الصحيـح للمصلحة ليس جزءا من أجزائه "السيطرة علـى العالم" وأخذ أكبر قدر ممكن مـن الثروات والخيرات مـن الضعفاء ولم ولن تسـتطيع العلمانية الوصـول إلى تعريف صحيح ليـس فقط للمصلحة بل حتـى للعدل أو الحرية. وما تفعلـه أمريكا هـو التلاعب بالإعـلام والحقائق والمبـادئ حتى توهم شـعبها وغير شعبها أن ما تفعله صحيح وقانوني ولا بد منه حتى لو كان شرا فبعضهم يقول إنه لشـيء طبيعي أن تسعى كل دولة لمصلحتها ونقول نعم نحن لسـنا ضد المصالـح الصحيحة ولكن حددوا أولا ما هـي المصالح الصحيحة؟ فلو أن العراق احتل أمريكا لقالت أمريكا لمن يرفع السـلاح من شـعبها أنهم أبطال ومقاومة أما من يحمل السـلاح من العراقيين على الاحتلال الأمريكي فهـو إرهابي أو مـن بقايا النظام البائد ويرفض إعلامها أن يسـميه مقاومة شـرعية ومع أن احتلال أمريكا للعراق مرفوض حسـب القوانين الدولية إلا أنه مقبول وشـرعي حسـب المفاهيم العلمانيـة للمصلحـة الأمريكية وقضية المصلحة ليسـت ضائعة عند الدول والشـعوب بل حتى عنـد القبائل والأفراد فكـم مـن قبيلة تعصبـت لأبنائها ظنا منهـا أن هذا يحقـق مصالحها وكم من حـروب حصلت لذلك وكم من أفراد يظنون أن مصالحهم تتحقق إذا زاد مالهم أو إرتفعت مناصبهم حتى لو بوسائل غير شريفة من كذب وغش ونفاق وظلم وربا وما أقوله هو واقع مشـاهد في السياسـة والإدارة والحياة الاجتماعية

وخطورة العلمانية والليبرالية أنهما يجعلان الفرد يفعل ما يقتنع به عقليا (هذا بالنسبة للمخلصين) لا ما تفرضه المبادئ الصحيحة (العلم الفكري) فإذا رأى الفرد أن مصلحته تتحقق بالصمت عن الانحراف الإداري فليفعل وإذا رأى مصلحته تتحقق بالواسطة فليفعل وإذا رأى مصلحته تتحقق بشراء الملابس الغالية والتبذير في المسكن فليفعل وإذا رأى أن مصلحته تتحقق بالبخل بماله وحرمان الفقراء والمحتاجين من الناس بل ومن الأقارب فليفعل وإذا رأى أن مصلحته تتحقق بقطيعة الرحم وبضعف بره لوالديه كما يحدث عند كثير من الغربيين فليفعل وإذا رأى مصلحته تتحقق بإشباع شهوته الجنسية بالزنا فليفعل فأوقات كثيرين موزعة بين العمل والجنس وهذا يؤدي إلى فقدان كثير من القضايا العامة لمن يهتم بها وما أقول لا ينفي وجود من يهتم ويضحي ولكن الفلسفة العلمانية تجعل الموقف من هذا القضايا آراء فبإمكانك أن تقتنع بها أو ترفضها فإذا اقتنعت أن ليس من واجبك مساعدة الفقراء وأن هذا واجب الحكومة أو الأغنياء فأنت حر ولكن في الإسلام (العلم الفكري) مصلحتك تتحقق إذا ساعدت الفقراء ومصلحتك تتحقق إذا قلت الحق ومصلحتك تتحقق إذا ابتعدت عن الزنا ومصلحتك تتحقق إذا كنت بارا بوالديك ومصلحتك تتحقق إذا أخلصت في عملك وإذا رفضت أن تأخذ وظيفة أو ترقية إذا كان زميلك أحق بها قال تعالى: ﴿والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ فالمصالح تتحقق ليست بما نحصل عليه من مال أو مناصب أو أبناء أو شهرة بل بما نحقق من العدل والحرية والتوحيد والعبادة .....الخ أي من حسنات وما نجتنب من سيئات فهذه الأعمال هي التي تحقق المصالح (الخير) لنا في الدنيا والآخرة فالمال الحلال فيه بركة والعفاف له تأثير علينا وعلى أسرنا والصدق ربحه

كبير حتى لو خسرنا مناصب وأموالا وزملاء ويمنعنا العدل عن ظلم الضعفاء ومعاقبة من يعتدي علينا بأكبر مما فعل بل يدعونا الإسلام في أحيان كثيرة للصبر والحلم والكرم والتسامح فنكسب محبة الناس قريبهم وغريبهم والغريب فعلا أن من يؤمن بالله سبحانه وتعالى من العلمانيين والليبراليين يعلم أنه لن يدخل معه في قبره إلا عمله الصالح وعمله السيئ وليس ماله مهما كثر ولا منصبه مهما علا ولا أبناؤه ومع هذا يجري كثير منهم وراء أمور لن تنفعه بل ستضره فكم منهم من هلك بفتنة المال أو فتنة المناصب أو فتنة الجنس أو فتنة اللامبالاة والانعزالية والكسل أو غير ذلك ولو احتكمنا للعلم الفكري والعقل السليم (وليس العقل العلماني) لقال أن معرفة الله سبحانه وتعالى وذكره والتقرب إليه بالأعمال هو الذي يحقق المصالح ومن يفعل ذلك هو من اهتدى أما عمي البصيرة فلن يروا إلا سراباً ولن يعيشوا في الحياة الدنيا والحياة الآخرة إلا في شقاء وهذا واضح في قلقهم النفسي وتعاسة أسرهم وضعف بنيانهم الاجتماعي والسياسي والعقائدي. وليعلم هؤلاء أن من يذهب إلى المسجد خمس مرات في اليوم لذكر الله سبحانه وتعالى هو إنسان يعمل من أجل مصلحته الحقيقية فالصلاة هي أهم عمل بعد التوحيد ولا يقارن بأهميتها أبدا كسب كل ما في الدنيا من أموال أو مناصب أو غير ذلك قال رسول الله ﷺ "الصلاة خير موضوع" وقال ﷺ "لأن أقول سبحان الله والحمدلله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب لي مما طلعت عليه الشمس" إذا كان هذا ما يقوله الأنبياء فإن ما يقوله العلمانيون أن المصالح والأرباح تتحقق فقط بما نكسب من مال ومناصب وما نشبع من شهوات فما يرونه من مصلحة هو سراب وظنون وليس حقيقة وعلماً فهم يسعون وراء أهداف غير صحيحة وتجد عندهم تصادماً بين مصلحة الفرد ومصلحة الأفراد الآخرين وتجد عندهم

تصادماً بين مصلحة قبيلة وأخرى وتصادماً بين مصلحة شعب علماني وآخر علماني وهكذا بل نجد التصادم موجوداً بين مصلحة الفرد ومصلحة الأسرة ومصلحة العائلة ومصلحة القبيلة ومصلحة الشعب لأن مفاهيم ومعاني المصلحة مختلفة بين فرد وآخر وبين شعب وآخر وأنا أتحدث عن المخلصين منهم فالعلمانية قائمة على الآراء المتناقضة والعلم والحق ليس آراء وهذا يجعل من الطبيعي أن تتصادم مصالح الأفراد والأسر والشعوب وفي المقابل تؤدي المعاني الصحيحة والفكر العلمي القوي (الإسلام) إلى تحديد المصالح الصحيحة للمصلحة في كل الدوائر الصغيرة والكبيرة وتجعلها تعمل بصورة متكاملة ومتوازية فلا تتصادم ولا يتم الاختلاف حولها قال تعالى: ﴿أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون﴾ (١٢٥) سورة الأنعام وقال تعالى: ﴿أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أمن يمشي سويا على صراط مستقيم﴾ (٢٢) سورة الملك وقال تعالى: ﴿وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا من أصحاب السعير (١٠) فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير﴾ (١١) سورة الملك. قال الأستاذ أنيس منصور "إذا تكلمنا فكلنا أصحاب مبادئ وإذا عملنا فكلنا أصحاب مصالح" وإذا تركنا جانبا المبالغة في هذا القول فأقول إن ضعف الإيمان هو الذي يجعل المصالح والشهوات تسيطر على الإنسان وأن الإيمان القوي لا يتحقق إلا بوجود علم صحيح بالإسلام والتزام به لأن المعرفة بلا التزام معرفة إبليسية وأضيف إلى ذلك أن علاقة الليبرالية بالإيمان الصحيح غير موجود وبالتالي فتأثير المصالح سيكون قويا على الليبراليين وإذا أضفنا له تأثير الجهل الفكري عليهم نتيقن أنهم سيتخبطون في قضايا إصلاح مجتمعاتنا وحتى في إصلاح أنفسهم.

الليبرالية والقيود الذهبية

لا شك أن الإنسان يريد أن يعيش حرا وأن يتصرف كما يشاء بلا قيود دينية أو قانونية أو أعراف أو عادات وإذا قلنا أن من المعاني الرئيسية لليبرالية الحرية بمعنى أن الليبرالي حر في أفكاره وحر في تصرفاته وحر في مواقفه وحر في ملابسه ....الخ فهذا يعني أننا سنواجه مشكلة حقيقية حيث أن هذه الحرية المطلقة تعني أن من حقي أن اقتنع بأي عقائد ومبادئ حتى لو كانت ظاهرة الفساد ألست حرا ومن الحرية التي أريدها أن أقول ما أريد حتى لو كان اتهام الله سبحانه وتعالى بالظلم ومن حريتي الغيبة والنميمة وشتم الناس....الخ واعتبر من الحرية استخدام الألفاظ البذيئة والجنسية في قصة أو مقال أو مجلس وغير ذلك. ولاشك أن هذه الحرية المطلقة مرفوضة حتى في أمريكا فهناك قانون يمنع استخدام ألفاظ عنصرية وهناك قانون يعاقب من يوجه الاتهام للناس بالسرقة أو يكذب إذا كان مسئولا وهناك كثير من الأفعال محرمة وهذا يعني أن الحرية المطلقة فيها جوانب شر وفساد يرفضها العقلاء ولو أعطى الإنسان الحرية لشهوته الجنسية لفسدت الأسر والنسل ولو أعطى الحرية لغضبه أو انتقامه لاعتدى على كثير من الناس ولو أعطى الحرية لبخله لما صرف حتى جزء من ماله ولو أعطى الحرية لكرمه لخسر كل ماله فالإنسان إذن يعيش ضمن قيود كثيرة أسرية أو قانونية أو عقلية والعلمانية الغربية لها قيودها فإذا خالفت القانون فالعقاب شديد ولكنها تعطيك الحرية للكفر والإلحاد والفسق فالتمرد على قوانين الشعب الأمريكي مرفوض والتمرد على شريعة الله سبحانه وتعالى مقبول وحدثني

صديق أن نسـبة الزنادقة كبيرة في أوربا وأنه قام بمناقشـة رجل دانمركي حول وجود الله سبحانه وتعالى وأنه اقتنع بوجود الله سبحانه وتعالى ولكنه قـال لا أريد أن أغير حياتي أي يريد أن يزني ويشـرب الخمر وهذا يعني أن أحد أهم أسباب بقاء العلمانية أنها تفتح المجال أمام الشهوات المحرمة لأنها تعتبرها حرية شـخصية فيدافع عنها من هو فاسق لأنها تفتح له أبواب الفسق ولو فكر بعقله لاقتنع أن الفسق فساد كبير يدمر الأفراد والأسر. ولا أبالغ إذا قلت أن مسـتنقع الفسـق أخطر على المجتمعات من المخدرات بكثير فالشباب الفاسق لا يصلح للزواج والزوج الفاسق لا يصلح قدوة لتربية أبنائه والزوجة الفاسـقة تحطم الأسرة وعموما فهناك من يتبنى العلمانية لأنها تتركه يمارس انحرافاتـه في كثير من المجالات بحرية فـلا مبادئ عقائدية أو أخلاقية ولا التـزام بالحق والصواب وزاد الطين بله أن الإنسـان الغربي مشـغول كثيرا بعملـه فلا وقت كثير عنده للتفكير في مبادئـه ويفتقد في أحيان كثيرة إلى من ينتقد له العلمانية بطريقة مقنعة وبأدلة قوية. وأقول القيود الإسـلامية كثيرة ولكنها ضوابط توجهنا نحو الخير وهي حصون تحمينا من الشر والانحرافات فتحريم الزنا والخمر والربا والكـذب والنفاق....الخ هي قيود ولكنها تحقق مصالـح الفرد والمجتمع وتشـجع على حسـن الخلق والصـلاة وصلة الرحم والصدقات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر....الخ هي قيود أيضا تحقق فوائد عظيمة للفرد والمجتمع وتحريم الخمر شـيء بسـيط أمام السماح بشرب أنـواع مختلفة من العصائر فالإنسـان الملتـزم ليس محروماً مـن كثير من الأشـربة والأطعمة والملابس وليس صحيح أن المسلمين يريدون أن يجبروا الناس على الإسـلام فلا أحد يسـتطيع أن يجبر أحداً على مبادئ لا يؤمن بها

وقد أعطى الله سبحانه وتعالى الحرية الكاملة للإنسان في أن يؤمن أو يكفر قال تعالى: ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ فالإنسان الحر الحقيقي هو الإنسان الذي أعلن العبودية والطاعة لله سبحانه وتعالى والعبد الحقيقي هو الذي يطيع اقتناعاته "الخاطئة" أو شهواته أو مصلحته أو عرقه أو غير ذلك قال الأخ عبد اللطيف الدعيج بتاريخ ٢ يوليو ٢٠٠٦ بجريدة القبس الكويتية "وإرادة الأمة يجب أن تبقى حرة بلا قيود دينية أو اجتماعية وهذا ما نختلف مع" إخواننا المسلمين والمتأسلمين عليه أن الخنوع دينيا يتطلب الخنوع أو يؤدي إلى الخنوع سياسيا والذي يرضى برهن إرادته لدى رجل الدين لن يجد غضاضة من رهنها لدى رجل السياسة" وأقول ردا على مطالبة الأخ عبد اللطيف "بإرادة حرة بلا قيود دينية" إن حرية الطبيب مقيدة بقيود علمية طبية يحاكم لو رفضها وهذه القيود تحدد له الأدوية من السموم وتحدد حتى الجرعات الأدوية وأوقات تناولها وتحدد له تفاصيل كثيرة في العمليات الجراحية لا يستطيع أن يرفضها فحرية التصرف والاجتهاد للطبيب هي ضمن الحقائق المادية الطبية وكذلك الأمر للمهندس والكيميائي والفيزيائي وغير هؤلاء وكذلك الأمر مع المسلم فهو حر ضمن حدود الحقائق الفكرية الإسلامية وهذا لا يعني خضوعهم لطاعة عمياء لعلماء الإسلام أو للحكومة المسلمة بل كل هؤلاء يجب أن يلتزموا بالحقائق الإسلامية أي طاعة أمر الله سبحانه وتعالى فطاعة العلماء والمسئولين والآباء لها ضوابط وحدود ولا شك أن حرية التمرد على العلماء في مجال معرفة الحقائق الفكرية أمر مرفوض وكذلك حرية التمرد على المسئولين فيما هو من حقوقهم التي حددها الإسلام أمر مرفوض وكذلك الأمر مع الوالدين والزوجة وحتى الأبناء ولنتذكر أن

بالإمكان إعطاء تبريرات لكثير من الانحرافات باسم الحرية أو المصلحة أو العدل فعلى سبيل المثال كثير من الحروب تتم تحت مبررات مثل محاربة الإرهاب أو فساد نظام ما أو عقائد مرفوضة عند الطرف الآخر وعلى مستوى الفرد تجد تبريرات لكثير من الانحرافات فالفاسق يقول من حقي أن أتمتع بالحياة والزوجة تقول خيانتي رد فعل لخيانة زوجي والمبذر يقول مالي وأنا حر فيه والأناني يقول أنا لم أضر أحداً وأهتم بشئوني فقط والزوجة المتمردة على زوجها تقول لا أحد يتحكم فيني والموظف الكسول يقول أنا أفعل ما يفعله أغلب الموظفين ولو سلطنا الأضواء على الانحرافات التي تحدث في الانتخابات لوجدنا ناخباً ينتخب بناء على ما قدمه المرشح من خدمات والثاني لأن المرشح ينتمي إلى عرقه والثالث لأن المرشح من منطقته والرابع لأن المرشح صديق له أو لأخيه وهكذا فالأفراد يتبعون ما أقنعتهم عقولهم أنه الفعل الصحيح أو المناسب حتى لو كان الكسل أو الفساد الأخلاقي أو الرشوة وكذلك الأمر مع الحكومات والأحزاب والقبائل والأسر فهناك من ينحرف وهو مقتنع بأن ما عمله صحيح أو على الأقل يحقق فوائد له وهناك من ينحرف وهو يعلم أنه على باطل وخطأ ويهمنا هنا من ضيعتهم عقولهم خاصة من العلمانيين والليبراليين فإذا كان كل إنسان يقيس الخير والشر بعقله فهذه كارثة علمية كبيرة لأن العقول البشرية تختلف في آرائها ولن ينقصها أن تقدم المبررات لأفعالها المنحرفة فالمفروض أن تتبع البشرية العلم الفكري (المبادئ الصحيحة) لا عقولها فإذا كنا نقيس الأمور بالقرآن والسنة يصبح من السهل معرفة الحق من الباطل ولا مكان للجدل والفلسفة والتبريرات للانحرافات فالإسلام يقول انتخبوا القوي الأمين حتى لو لم يكن ينتمي إلى

عرقنـا ولم يقدم لي خدمات أما إذا كان قياسـنا هو عقلي أو عقلك أو عادات الآباء والأجداد أو أقوال الفلاسفة أو التصويت الشعبي أو القانون أو الأهواء الشـخصية أو مفاهيم التعصب العرقي التي علمتنا إياهـا قبيلتي أو وطني أو أمتي أو غير ذلك فلا شك أننا سنجد تبريرات لكثير من الانحرافات من ظلم أو كسـل أو نفاق أو تعصب وهذه هي مشـكلة العلمانية والليبرالية لأنها تقول لا تلتزمـوا بالقرآن والسـنة واحتكموا إلى ما شـئتم. وأذكر هنـا إلى أن كثرة الحقائق الفكرية الإسـلامية العقائدية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية تنقذ البشـرية من الضياع وهذه الميزة تعتبر عند العلمانيين عيبا وشمولية تقيد الحرية فكأن الأفضل للبشـرية أن يكون رصيدها من العلم الفكري قليلا حتى تجد الآراء الضائعة مساحات كبيرة وتجد نتيجة لذلك الأعمال الفاسدة مساحة كبيرة لأنها ترجمة للآراء الفاسدة وكثيراً ما تضيع العقول العلمانية والليبرالية في فهم الحياة والواقع السياسـي والاجتماعي وسلوك الأفراد لأن موازينها في قياس الأسـباب والنتائـج والوصول إلى التفاسـير والحلول مرتبط فقط بالموازين المادية فهم لا يعرفون أن هناك سننا لله سبحانه وتعالى تحدد لنا سـعادة الفرد والمجتمع وشـروط النصر وأسـباب الهزيمة وطرق الوصول للسـعادة الزوجية وغير ذلك وهم لا يعرفون أن هنـاك علاقة وثيقة جدا بين طاعة الله سـبحانه وتعالى وبين زيادة العلـم والحكمة والبصيرة والعقلانية قـال تعالى: ﴿ومن لم يجعل الله له نورا فما لـه من نور﴾ وكم من دول تملك المعاهد العلمية السياسـية والاجتماعية ومع هذا تتخبط في كثير من قراراتها السياسـية والاجتماعية بدليل أن الواقـع الاجتماعي الأمريكي يزداد كل يوم تدهـورا ولـم تصحح أوضاعه لا قـرارات ولا ميزانيـات ولا خطط وعموما

لنتذكر أن الله سبحانه وتعالى يتدخل في الحياة الدنيا فينصر أولياءه ويذل أعداءه قال تعالى: ﴿قل اللهم ما لك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شئ قدير﴾ فالتقرب إلى الله سبحانه وتعالى بصورة صحيحة هو أساس القوة والعزة والسعادة النفسية والابتعاد عنه هو أساس الضعف والذل والتعاسة والغريب فعلا أن نجد كثيراً من المسلمين يحللون أوضاعنا السياسية وهم متأثرون بالعقل العلماني الذي لا يرى إلا الجزء المادي من الواقع فمثلا استمعت للآراء كثير من المثقفين العراقيين في أوضاع العراق ولم أجد من يقول أن العمود الفقري لإصلاح الأوضاع هو الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى والالتزام بالصلاة وغيرها وما ينطبق على العراق ينطبق على كل الدول فعلاج الفقر والعصبيات العرقية والفتن والفساد المالي والسياسي وغير ذلك يتطلب الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى ومعرفته وطاعته أما من يرى الإصلاح فقط في إسقاط حكومة أو حاكم أو ثورة شعبية أو اتفاق سياسي أو تحطيم المعارضة فهو مخطئ. أليس من حق الشعوب أن تقلق على حاضرها ومستقبلها إذا كان الإصلاحيون لا يعرفون هل أغلب أوراق الإصلاح بيد الشعب أو بيد الحكومة؟ أليس من حق الشعوب أن تعرف الفرق بين من يريد الإصلاح ومن يستحق الإصلاح؟.

عقلك يخدعك

إذا زار رجل أول مرة الصحراء وليس له علم بظاهرة السراب ورأى سراباً فسيظن أنه ماء وإذا قلت له إنه ليس ماء سيتهمك بالجهل لأن الماء يراه بعينه ومثل هذا الرجل سيعرف أن عينه تخدعه إذا زاد علمه ومثل هذا الأمر ممكن أن يقال للعقل فكثير ما يخدع العقل أصحابه. فكم من إنسان يرى بعقله أن العلمانية أو الليبرالية أو الاشتراكية أو المسيحية المشوهة أو البوذية أو غير ذلك أنها هي المبادئ الصحيحة وكم إنسان يرى أن مصلحته الشخصية تتحقق بزيادة رصيده من المال أو المناصب وكم من قبيلة وشعب أو أمة يعتقدون أن مصلحتهم بالتعصب العرقي وأخذ أكبر كمية من المكاسب والمزايا لهم وكم من زوجة ترى مصلحتها بأن تأخذ من زوجها الغني أكبر كمية من المال ولا ترضى بحقوقها المالية الشرعية في حياته أو بعد موته وكل هذه العقول ضائعة أي جاهلة وكثير من هؤلاء لديهم شهادات جامعية وثقافية وخبرة في الحياة ومع هذا تخدعهم عقولهم فلا يرون الحقائق الفكرية ويتبعون السراب الفكري. وقال لي شاب مسلم لديه شهادة جامعية ومعدل مرتفع جدا من جامعة بريطانية إن مصلحتي تتحقق بحصولي على بعثة دراسية حتى لو كانت بوسائل غير شرعية كالرشوة مثلا فهو مقتنع بأن الغاية تبرر الوسيلة ولا شك أن هدفه نبيل فهو يريد مزيداً من العلم وليس هدفه أخذ أموال الناس مثلا وما هو مقتنع به يقتنع به كثيرون فهناك شباب يكذبون على أهل الفتاة التي يخطبونها وهناك العكس وهناك موظفون يكذبون على مدرائهم وهناك العكس وهناك من يكذب في البيع أو الانتخابات أو الإعلام وهناك من

يظن بأن الغش في الامتحانات يحقق مصالحه وهناك الأستاذ الجامعي الذي يظن بأن قبول الواسطة في إنجاح الطلبة الفاشلين يحقق مصالحه والأمثلة كثيرة جدا وقلت لصاحبي الشاب إن عقلك يخدعك فلا تطعه فمصلحتك لا تتحقق بحصولك على بعثة دراسية عن طريق الرشوة وما تراه فهو سراب وما يحقق مصلحتك الحقيقية هو اتباع العلم الشرعي أي الإسلام الذي يدعو إلى أن تكون وسائلنا شرعية وأن نلتزم بالحق والصواب في الوصول إلى أهدافنا وإذا التزمنا بالوسائل الشرعية فقد حققنا مصالحنا حتى لو لم نحصل على بعثة أو منصب أو مال أو فتاة نرغب في الزواج منها أو غير ذلك فمصالحنا تتحقق من خلال زيادة رصيدنا من الحسنات وتقليله من السيئات ولا شك أن الرشوة تزيد رصيدنا من السيئات وأن الله لا يبارك في بعثة تم الحصول عليها بطريقة فاسدة فالذنوب والمعاصي منبع الشقاء والفشل والتعاسة النفسية في الدنيا والآخرة والتزامنا بالحق يجعلنا نحيا حياة طيبة وسعيدة حتى لو كان رصيدنا من الشهادات أو المال أو المناصب محدود ويخدع الشيطان عقولنا عندما يقنعنا أن مستقبلنا أو سعادتنا قائمة على الحصول على بعثة أو وظيفة أو منصب فإذا كان الحصول على بعثة يتطلب رشوة في مكان ما فهناك أبواب أخرى للبعثة لا تتطلب الرشوة كما أن كثيراً من أبواب العلم الذي هو هدفنا من البعثة مفتوحة فيمكن زيادة العلم من خلال القراءة ومشاورة الخبراء وممارسة العمل والدورات التدريبية وغير ذلك وكم من علماء كبار تميزوا بعلمهم وهم ليس لديهم شهادات جامعية أو عليا ومن هؤلاء أديسون وكثير من السياسيين وعلماء الإسلام والصحفيين وغيرهم. وما أدعو إليه ليس مثاليات أو غباء أو عدم معرفة بواقع الناس بل هو ما أمر به الله سبحانه

وتعالـى والأنبياء وهو ما يدعو له العلم الفكري والعقول السـليمة وإذا كان الطبيب يتبع الحقائق المادية في علم الطب وعلى أساسـها يسير في عمله وإذا انحرف عنها أخطأ بل قد يحاكم ويسجن لما في ذلك من خطر على صحة الناس فـلا يقبل من الطبيـب أن يقول اتبعت عقلي إذا خالـف حقائق العلم والمعرفة وكذلك الأمر مع الإنسان وحقائق الإسلام فإذا اتبع عقله ولم يلتزم بالمفاهيم الإسـلامية للمصلحة الشـخصية فهو إنسـان يضر نفسـه من حيث لا يعلم قال تعالى: ﴿والذين كفروا أعمالهم كسـراب بقيعة يحسـبه الضمئان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب﴾ (٣٩) سـورة النور ولننتبه إلى أن الإنسان يستطيع أن يبرر "عقليا" كثيراً من آرائه فيستطيع أن يمدح العزوبية ويذم الزواج أو العكس ويستطيع السياسي أن يبرر قراره بالحرب أو السـلام في كثير من الصراعات وعموما فذكر الإيجابيات أو السلبيات أو كلاهما وإعطاء أوزان مختلفة باختلاف عقول أصحابها ليس الأسـلوب العقلي الصحيح بل لا بد من ربط كل هذه القضايا بالأسس الفكرية الصحيحـة حتى نعرف الحـق من الباطل إذا كان الأمر فـي القضايا الفكرية الأساسية ومعرفة الصواب من الخطأ في الاجتهادات الفكرية فموقف المسلم من الزواج مثلا هو تأييده وتشجيعه وتيسيره وأقول احذروا الآراء والتبريرات والتزمـوا بالصراط المسـتقيم ورحم اللـه الإمام أحمد بـن حنبل الذي قال "الحديـث الضعيـف عندي خيرا من الـرأي" . وأضيف إلى ذلـك أن العقول الجاهلة تظن السـعادة في زيادة المال والمناصب وهذه أوهام فالسـعادة لا تتحقق إلا بالقرب من الله سـبحانه وتعالـى وطاعته وما أقوله تثبته الحقائق الواقعيـة واقرؤوا الحياة الشـخصية الحقيقيـة لكبار الأغنياء والسياسـيين

والممثلــين وغيرهم ممن هم بعيدون عن معرفة الله ســبحانه وتعالى وطاعته وســتقتنعون أنهم أشقياء وتعســاء وأقول وأكرر اتبع العلم الشرعي ولا تتبع عقلك وهذا يتطلب أن تدرس العلم الشــرعي وتسأل علماء الإسلام لأن البعض بل الكثيرين ليس لديهم الحد الأدنى من العلم الشرعي فيظنون أن الغاية تبرر الوسيلة في أمور كثيرة أو يضعون أهدافا غير شرعية ويعتمدون على عقولهم فيما فيه حقيقة فكرية واضحة في القرآن أو الســنة . وإذا كان الإســلام يقبل في أحيانا بعض الانحرافات مثل الســماح بأكل لحم الخنزير لمن خشــي على نفسه من الموت جوعا أو إعطاء رشوة للحصول على حق له لا يصله بغير ذلك فــإذا هذه اســتثناءات تحت ظروف اضطرارية لا يجوز شــرعا التوســع فيها فالإنســان ليس حقيقة مضطــراً للحصول على شــهادة علميــة وليس مضطرا للحصول على مال حرام حتى لو اضطر أن يتســول وإذا اتبعنا العلم الشرعي ســنعلم أن أرزاقنا قد كتبها الله ســبحانه وتعالى قال تعالى: ﴿وفي الســماء رزقكــم وما توعــدون (٢٢) فورب الســماء والأرض إنه لحــق مثل ما أنكم تنطقــون﴾ (٢٣) ســورة الذاريات وبالتالي فلا يزيد فــي الرزق أن ننافق أو ندفع رشــاوى أو نغش في بضاعة ولن ينقصــه أن نقول كلمة الحق في عملنا وجزء من سعادة المسلم في هذه الدنيا أن يطمئن نفسيا أن رزقه ورزق أبنائه مكتوب ولا يســتطيع كل البشر ولو اجتمعوا أن يزيدوا فيه أو ينقصوا منه شيئا ومن الأمثلة الواقعية هو ما نراه من ثروات نفطية غيرت حياة عشرات الملايين من العــرب من غير جهد منهــم ولا تميز في التكنولوجيا وجعل الله ســبحانه وتعالى العالم بحاجة لهذا النفط والأمر لا يقتصر على النفط بل نعم الله تصل لكل البشــر من أمطار وثروات بحرية ونهرية ومعادن وأماكن جميلة وأنعام

وطيور ومحاصيل وفواكه ....الخ والإنسان الجاهل هو الذي يظن أن عقله أو شهادته أو اجتهاده أو الواسطة هي التي أوصلته للرزق ولو حرمنا الله سبحانه وتعالى من نعمة الهواء لمات البشر كلهم خلال دقائق ولم تنفعهم عقولهم وكل التكنولوجيا التي لديهم وكل الأموال التي يمتلكونها وما أقوله في قضية الرزق والخير بشكل عام من صحة أو زيادة في العلم قضية يجب أن يأخذ فيها المسلم بالأسباب المادية من تفكير وتخطيط وعمل جاد ولا شك أن لدى البشر تأثير على الأسباب المادية ولكن الكلمة الأخيرة هي لله سبحانه وتعالى فكم من نظام حكم حاولت دولة عظمى إسقاطه ولم يسقط وكم حاولت الولايات المتحدة قتل أسامة بن لادن ولم تفلح منذ خمس سنوات مع إن إمكانياتها المادية هائلة جدا فالأسباب المادية لها تأثير ولها ثمرات وكذلك للأسباب الإيمانية ولا يظلم ربك أحدا والله سبحانه وتعالى بيده أن يجعل في المال القليل بركة ويجعل في المال الكثير شقاء فيتحاسد الأخوة أو يضيع في التبذير أو غير ذلك ولا شك أن كثيراً من المسلمين لم يأخذوا بالأسباب الإيمانية ولا بالأسباب المادية في حين أن الغرب أخذ بدرجة كبيرة بالأسباب المادية من علم مادي واجتهاد في العمل وأخذ حتى ببعض الأسباب الإيمانية (الفكرية) من شورى وحرية رأي ولهذا حقق تقدما وحققنا تخلفا. وأنبه هنا أن الليبراليين والعلمانيين لا يرون الحقائق الفكرية (الإيمانية) ولهذا يتخبطون في عقائدهم وحياتهم الاجتماعية والسياسية وغير ذلك وهم أيضا لا يتبعون "العقل" كما يدعون بل كل فرد يتبع عقله وما أكثر العقول وهو مقتنع بما لا يقتنع به الليبراليون الآخرون في المبادئ الأساسية وهذا يثبت أنهم لا يتبعون العلم الفكري لأنهم متناقضون والعلم يوحد والجهل يفرق لأنه مفاهيم كثيرة

متناقضة ومن سنن الله سبحانه وتعالى أنه يعمي عقول وبصائر من يكفر به ويعصيه قال تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾ (٦٩) سورة العنكبوت وقال تعالى: ﴿ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾ (٤٠) سورة النور فكلما اقترب المسلم من الله سبحانه وتعالى علما وعملا وعبادة كلما زاد رصيده من النور والهدى في حين أن العلمانيين غير مقتنعين بوجود علم ونور في الدين وخاصة في المجال السياسي ويعيشون على الآراء التي تراها عقولهم الضائعة بل يعتبرون الكل علماء في العلم الفكري فيسأل هذا عن رأيه في العلاقة بين الدين والدولة ويسألون الثاني عن رأيه في الزواج والثالث عن رأيه في العقوبات المناسبة للقاتل ويسألون الرابع المسئول الكبير عن رأيه في دولة ما وهكذا وكل فرد من هؤلاء يقول رأيه وما وصل إليه عقله بدون أن يكون منطلقا من قاعدة من العلم الفكري ولهذا يضيع البشر ويزداد الشر والفساد فالعلمانيون يفتون في القضايا الفكرية أي هم علماء مع اقتناعهم بأنه لا يوجد علم والعقل السليم يقول إذا لم يوجد علم فلا يوجد علماء قال تعالى: ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير﴾ (٨) سورة الحج.

العقول الضائعة

أتمنى أن يدرك العلمانيون والليبراليـون أن العقل يضيع في معرفة الحق مـن الباطل فـي كثير من أمـور العقائد والسياسـة والحيـاة الاجتماعية إذا اسـتخدم الأسلوب العلماني في فهمها لأنه أسـلوب ليس لديه رصيد من العلم الفكري فهم لا يعرفـون الإيمان من الكفر ولا العدل من الظلم ولا الحرية من الفوضى ولا الجهاد من الإرهاب ولا التشـريع الصحيح من التشريع الخاطئ ولا حريـة الرأي من حرية التشـويه فالعلمانيون يعتمدون في نقاشـهم على معلومات عن الواقع السياسي أو التاريخ أو الدول أو الأحداث أو العقائد أو غير ذلك وهذه ثقافة وليسـت علماً فكرياً وهـذا لا يعني أنهم لا يعرفون بعض المبـادئ الفكرية مثل أن السـرقة خطأ والكذب باطـل وأن الأمانة حق فهذه أمور لا اختلاف بين البشـر حولها ومن البديهيات التي يعرفها الجميع أنه من ليـس لديه رصيـد علمي مادي لا يحق له العمل أو حتـى التكلم في العلم الذي يجهله فمن ليس لديه رصيد من علم الطب لا يسمح له أن يعمل بالطب بل يحاكم لـو فعل ذلك لأنـه يتعامل مع الواقع (المرضى والأمـراض) عن جهل وكذلك الأمر مع المهندس والكيميائي وغير ذلك وهذا هو الخطأ الكبير الذي وقع فيه الليبراليـون و العلمانيون لأنهم مقتنعـون بأنه لا يوجد علم فكري وهذا جعل آراءهم الفكرية الاجتهادية تسبح في ظلمات الجهل وتتناقض مع بعضها بعضا حـول كل قضية فكرية أو واقعية فهم يتناقضون حول معاني الحرية والعدل وحـول مفاهيم الإصلاح.....الخ ويتناقضـون ويختلفون حول ما في الواقع من دول وأنظمة وأحزاب ومواقف وأفراد وأعمال وما يهمنا أن العقل بدون

رصيد من العلم الفكري يستطيع أن يمدح الرأسمالية ويذم الشيوعية ويستطيع أن يفعل العكس فيستطيع مثلا أن يمدح المساواة الشيوعية والأممية الشيوعية بل وحتى الإعلام الشيوعي والاستبداد وهذا ما حدث فعلا في القرن العشرين فمثلهم كمثل عقول تتحاور وتتناقش في علم الطب وفي تشخيص أمراض البشر وهم ليسوا أطباء وبالتالي فالآراء ستكون متناقضة وهناك مبررات لكل رأي وكثير من المبررات تبدو مقنعة عقليا ولهذا يستحيل في أحيان كثيرة حسم اختلافاتهم سواء كانت فكرية أو سياسية أو اجتماعية ويتحول نقاشهم إلى جدل بيزنطي وأقول وأكرر أن العلمانيين والليبراليين يلجئون للديمقراطية في كل شئ لأنهم عجزوا عن الاحتكام إلى العقل بل ألغوا الاحتكام إلى العقل من قاموسهم وما دام الأمر كذلك فمن الطبيعي أن تتأثر قوانينهم وأهدافهم بمصالح الأقوياء من أغنياء أو العصبيات أو القوة العسكرية بل من الطبيعي أن تتأثر حياة الفرد بنوع ما قرأ وبتجاربه الشخصية ومفاهيم والديه أو غير ذلك فلا يوجد عندهم حق ولا صواب (علم) و(ثوابت) يلتزمون بها في دولهم أو على مستوى الفرد والأسرة وتصور حياة الناس لو لم يوجد علم وحق وثوابت في الطب إن الحياة الطبية ستكون جحيما لأن أراء الأطباء ستتناقص وغياب الثوابت في الفكر العلماني معناه لا يوجد تراكم علمي للحقائق كما يحدث في علم الطب ومعناه أنهم في جهل وسيبقون في جهل وهذا العيب الواضح يعتبرونه مرونة أو انفتاحاً أو تطوراً فكرياً وهذا تزوير لأن التطور هو تراكم للحقائق العلمية فكيف يحدث تطور ولا يوجد حتى حقائق بديهية في الفكر العلماني وأنا لا أتجنى على العلمانيين أو الليبراليين فحتى وجود الله سبحانه وتعالى لا يعتبر عندهم حقيقة علمية فكرية فما بالك ببقية القضايا

الفكرية والأسوأ من ذلك أنهم يدافعون عن مبادئهم كفصل الدين عن الدولة مع اعترافهم أنها ليست حقيقة فكرية بل آراء تحتمل الصواب والخطأ فتجد مثلا من يكره المرأة وتجد منهم من يعتبر المال والجنس أهم ما في الحياة ولو أخذنا مواقف العلمانيين والليبراليين العرب من الرئيس جمال عبد الناصر لوجدنا التناقض الكبير فبعضهم يعتبره بطلا قوميا وآخرون يعتبرونه مجرما كبيرا وهذا التناقض هو في مواضيع كثيرة أما مواقف المسلمين الملتزمين الواعين فهي مواقف متحدة في القضايا الفكرية ومتقاربة في قضايا الواقع من قضايا سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية وأنا هنا أتحدث عن الاتجاه العام للمسلمين لأن الحالات الشاذة لا يقاس عليها وأكبر دليل على الضياع العلماني والليبرالي هو تناقضهم واختلافهم وليتهم اكتفوا بذلك بل يحاولون تصدير الضياع (الجهل) للمسلمين من خلال ما يلي:-

١- يأتون لما يملكه المسلمون من رصيد فكري في القرآن الكريم والسنة النبوية ويحاولون إقناع المسلمين أنهم مختلفون وأن آيات القرآن تحتمل أكثر من معنى وأن كل عقل بشري يحق له تفسير القرآن والتكلم في الإسلام فلا توجد ثوابت (حقائق) إسلامية بل آراء وهم لا يعترفون بوجود حقائق إسلامية ولا بوجود علماء مسلمين وذلك حتى يسهل على الناس قبول فكرهم العلماني ولا شك أن من بديهيات العقل أنه لا يحق للعلمانيين التحدث في الإسلام وهم ليس لديهم علم بآيات القرآن ولا أحاديث الرسول ﷺ ولا بسيرته ولا حتى باللغة العربية فما يفعلونه هو عبث فكري وجهل شنيع.

٢- كثير ما يحمل العلمانيون المسلمون آراء واجتهادات شاذة لفرق إسلامية أو لعلماء مسلمين أو لجمود فكري أو لمسلمين متطرفين أو حتى لجماعات

خرجت بتطرفها عن دائرة الإسلام وعموما التطرف والانحرافات والأخطاء موجودة في كل المبادئ الدينية والعلمانية وليس من الأمانة العلمية والموضوعية أن يتم تشويه الحقائق الفكرية وأهل الحق بتسليط الأضواء على فكر متطرف أو فئة ضالة وأخبرني أحد المسلمين الذين درسوا بالغرب أنه لاحظ ان الإعلام الغربي يسلط الأضواء على المتطرفين المسلمين وهدف هذا الإعلام هو تنفير الناس من الإسلام والمسلمين.

٣- يصنع العلمانيون والليبراليون مشكلات وهمية فكرية أو سياسية فتجدهم يتكلمون عن المسلمين والمسيحيين في الدول العربية مع أن ٩٠٪ من العرب مسلمون وهذه أغلبية ساحقة بل تصل النسبة في أغلب الدول العربية إلى ٩٩٪ ويتكلمون عن الاختلاف بين السنة والشيعة مع أن الأغلبية الساحقة من الدول العربية دول سنية ولا توجد مشكلة طائفية حقيقية حتى في العراق ذي الأغلبية الشيعية وإذا كان هناك بعض الظلم لهذا الطرف أو ذاك فهو شبيه بالظلم السياسي أو العرقي أو الطبقي الذي نجده موجوداً في أغلب دول العالم العربي أي هو ظلم صنعه الناس ولم يصنعه الإسلام.

٤- يتلاعب العلمانيون وخاصة الإعلام الغربي بالمصطلحات الفكرية فيطلق كلمة إرهاب حتى على المقاومة للاحتلال الأمريكي أو الإسرائيلي ويسمي الاحتشام تزمت والتبرج تحرر والفساد حرية شخصية والكفر والزندقة حرية فكر ورأي ويصفون التمسك بكتاب الله وسنة رسوله بالسطحية والرجعية أو جمود فكري أو أساطير أو حنين للماضي أو تراث قديم ومبادئ من العصور الوسطى وأقول هل أرسل الله سبحانه وتعالى أنبياء جدداً وإذا كانت الإجابة بالنفي فلا شك أن قمة العقل والحكمة بالسير في

طريـق الأنبياء وأضيف إلى ذلك أن العلمانية وكل مدارسـها هي مدارس قديمـة منذ خلق الله الإنسـان على هـذه الأرض فلا يوجـد مبادئ حديثة فالإيمان قديم وكذلك العلمانية (الكفر والزندقة) ولكن المشكلة أن بعضهم لا يعرف المبادئ الصحيحة بل لا يعرف حتى التاريخ.

٥- يتلاعـب العلمانيـون والليراليـون بالحقائق الواقعيـة ليوهموا الناس أن فكرهـم العلمانـي راق وأن الفكر الإسـلامي متخلف فمـا أكثر جرائم الاسـتعمار الأوربي العلماني للشـعوب خلال الثلاثة قـرون الماضية لقد قتـل وبلا مبالغة الملايين كما أن الحربـين العالمية الأولى والثانية جرت بين دول علمانية وليسـت دينية وقتل فيها أكثر من خمسين مليون من البشر وما قتلتـه أمريكا من الأبريـاء منذ ١١ سـبتمبر ٢٠٠١ وحتى الآن أكثر ممـا قتله المتطرفون الإسـلاميون من الأبرياء خلال هـذه الفترة فجرائم انتهاكات حقوق الإنسـان والسجون السرية والأسلحة المحرمة واضطهاد الشـعوب واسـتعمارها وتعذيب السـجناء....الخ تتم بأيدي أكبر وأفضل مثـال للدول العلمانية ألا وهي الولايـات المتحدة هذا طبعا غير انتهاكات كثيرة لحقوق الإنسـان تحدث في كثير مـن الدول نتيجة الأوامر الأمريكية واحتـلال العراق مـن قبل أمريكا وبريطانيا وبلا أي سـند دولي يسـمى تحريـرا للعـراق وكلنا يتذكر أكاذيـب وزير خارجيـة الولايات المتحدة كولن باول في الأمم المتحدة عن وجود أسلحة دمار شامل في العراق بهذه المفاهيـم الكاذبة وغيرها كثير قامت العلمانيـة الغربية بإعلامها القوي بتشـويه الحقائق الفكرية والواقعية والمشكلة أن كثيراً من البشر يستمعون فقط لهـذا الإعلام ويصدقونه فمن الطبيعي أن يقتنع أن المسـلمين الواعين

متطرفون أو جامدون أو ضائعون أو متعصبون لا يفهمون الحياة والواقع وليس لديهم فكـر يصلح لبناء الدولة ومن يريد أن يرى الحقائق فلا بد ان يجعل رضى الله سـبحانه وتعالى هو قضيته الأولى وإلا سيعمي الله عقله مهما كان لديه من شـهادات وخبرة وذكاء وثقافـة قال تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾ (٦٩) سورة العنكبوت وقـال تعالى: ﴿ومـن لم يجعل اللـه له نورا فما له من نور﴾ (٤٠) سـورة النور وقال تعالى: ﴿ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا﴾ (٧٢) سورة الإسراء.

الطفيليون من المثقفين

غريب أمر هذا الكائن البشـري وخاصة النوع المثقف منه حيث تجده يتكلم فـي كثير من المجالات التي لا يفقه حتى أساسـياتها وكم مثقف عربي تحدث وكتب في السياسة وهو ليس بصاحب خبرة لا في العلوم السياسية ولا الواقع السياسـي وكم من مثقف علماني كتب عن العلمانية والإسـلام وبقية المبادئ ومجال تخصصه الهندسـة أو الاقتصاد أو أمراض الحيوانات وكم وكم من مسـئول سياسـي أو طبيب أو باحث علمي أو غير ذلك أخذ يفتي في مجال التخطيـط والإدارة والتطويـر الإداري وهو لا يعرف بديهيـات التخطيط ولا أساسـيات الإدارة وهذا أحد الأسـباب الرئيسية لفشـل وزارات ومؤسسات وشـركات عديدة في الوطن العربـي وأتمنى أن يتم عمل امتحان للمسـئولين لقياس معرفتهم في الإدارة خاصة أن بعضهم يديرون وزارات أو مؤسسات بها الآف العاملين بل أحيانا عشـرات الآلاف ويجب أن ندرك أن علم الإدارة ليس علماً بسـيط وكذلك الأمر في السياسة والإصلاح والعقائد فالأمر يحتاج إلى دراسـة وتخصص وتأكدوا أنه إذا لم نتكلـم عن علم فنحن نتكلم عن جهل وصحيح أننا لا نستطيع أن نمنع من يريد أن يتكلم أو يكتب ولكن لا بد من إيجاد قنوات ومؤسسات تسمح للمتخصصين فقط بالكلام والمشاركة وعلينا ألا نقرأ إلا لهؤلاء وعلينا تحرير المجالات العلمية من المتطفلين عليها ممن ليسوا أهلها فهذا هو الجهل الحديث الذي يشـكو منه القراء لجرائدنا والمشاهدين لقنواتنا الفضائية فإذا كنت صاحب شهادة جامعية في العلوم البحته فإن هذا لا يؤهلك لأن تتحدث في الإدارة أما إذا كنت صاحب شهادة ماجستير في الحاسب الآلي فـإن هذا لا يؤهلـك للحديث عن تطوير الموارد البشـرية أما إذا كنت صاحب

شــهادة دكتوراه في المحاماة فارحم البشــر ولا تتكلم عن الإصلاح السياسي وقديمــا قيل "لو سـكت مــن لا يدري لاســتراح الناس" فمتى سيسـكت من لا يــدرون وأحد أسـباب تخلفنا في الوطــن العربي هو غيــاب المعاهد العلمية المتخصصــة والمتفرغة للدراســات والبحث العلمي في السياســة والاقتصاد والعقائد والإدارة....الخ فلنوجدها ولندعمها ماليا وسياسـيا وشـعبيا حتى يتكلــم كل متخصص في مجال تخصصه بعد دراســة وبحث وبصورة جماعية حتــى يخجل ويصمت الطفيليون من المثقفين وما أكثرهم وإذا فعلنا ذلك فإننا نحقق قفزة علمية هائلة لأوطاننا وأمتنا ورحم الله كبار علماء الإسلام الذين كثيرا ما كانوا يقولــون في مجال تخصصهم لا نعلم هذا هو الرقي واحترام العلم والحقائق والصواب . وإذا كان من طبائع البشــر وعاداتهم حب الكلام وإصدار الفتاوى وادعاء العلم فيما لا يعلمون والخجل من الاعتراف بالجهل حتــى في غير مجــال تخصصهــم وإذا كان من عاداتهم أن تكــون مراجعهم "العلمية" في التحدث في مجال ليسوا متخصصين فيه هو الجرائد والإشاعات والقنوات الفضائية....الخ فإن هذا الفساد العلمي يتضاعف تأثيره إذا أضيف إليــه دافع الكراهيــة والعداء وعندمــا يتحدث الجهل والكراهيــة تصبح حالة المريض مسـتعصية فالكراهية تمنعه من الاسـتماع للمتخصصين في العلم من علماء الإســلام أو غيرهم ولنتذكر أن الإمام مالك بن أنس رحمه الله سئل عن ثمان وأربعين مســألة فقال في اثنتين وثلاثين منهــا لا أعلم ولنتذكر أنه كلما زاد علم الإنسان قل كلامه ولم يتكلم فيما لا يعلم ومن تكلم في غير مجال علمه فهو جاهل وهذه الجاهلية الحديثة وهي أشــد خطرا من جاهلية غير المتعلمين لأن هؤلاء لا يستمع إليهم أحد ولا يكتبون في الجرائد ولا يؤلفون الكتب.

من أين جاءت مبادئك ؟

ثـورة هائلة فـي الوصول للحقائق الفكرية الأساسية ستحقق بإذن الله تعالى إذا سأل من يختلفون فـي عقائدهم ومبادئهم بعضهم بعضاً من أين جاءت مبادئك؟ لا ما هي مبادئك؟ فالمفروض أن نبحث عن المنبع الذي تخرج منه العقائد والمبادئ وهل هو منبع نقي أو ملوث أي هل هو منبع صحيح أو خاطئ فالسؤال إذن ما الذي يثبت أن مبادئك الأساسية هي الصحيحة؟ فإذا قلت مبادئي جاءت من آبائي وأجدادي أقول هذا لا يثبت أنها منبع صحيح وإذا قلت اقتنع بها عقلك أقول هذه ليس منبعاً صحيحاً لأن للناس عقولاً وجاءت بمبادئ كثيرة متناقضة فأي عقل منهم نصدق فليس هناك شئ محدد أسمه العقل، فالعقل ليس منبع للحق إلا إذا استخدم بطريقة صحيحة وإذا قلت مبادئ نابعة من الدستور أقول هذا رأي شعب أو حتى حكومة ليس هو المنبع الصحيح لأن الدساتير عقد اجتماعي واتفاق سياسي أكثر منها مبادئ صحيحة ولو احتكمنا للدستور لوجدنا دساتير كثيرة ومتناقضة وبالتالي لا تعد المنبع الصحيح أما إذا قلت مبادئ نابعة من اقتناعي بفيلسوف أو مفكر أو مصلح فأقول ما أكثر الفلاسفة والمفكرين والمصلحين وما أكثر تناقضهم وإذا قلت أن مبادئك نابعة من دين سماوي أقول هناك أديان سماوية فيها اختلاف فما الذي يثبت أن الدين السماوي الذي تؤمن به هو الصحيح؟ وحتى تتضح الصورة أقول المبادئ (الحقائق) في العلم المادي نابعة من التجربة والمشاهدة والاستنتاج لا آراء علماء المادة أو غيرهم فمن وصل إلى منبع "التجربة والمشاهدة والاستنتاج" سيصل إلى الحقائق المادية أما

منبـع الحقائق الفكرية (العقائد والمبادئ) فهو من يملك الأدلة على أن مبادئه جاءت من الله سـبحانه وتعالى فهذا المنبع هو الذي يحدد المبادئ الصحيحة للإيمان والكفر والحرية والعدل والمسـاواة والإجابات الصحيحة على كثير من الأسئلة الفكرية التي تواجهنا والتي تتعلق بالجوانب العقائدية والسياسية والاجتماعيـة والاقتصاديـة فـي حياتنا بما فيها من سـلام وحـرب وغنى وفقر ومصالح وصراعات ودسـاتير وقوانـين وعادات.....الخ وإذا كانت الأديان السـماوية تقول أنها نابعة من الله فهـذا صحيح ولكن حدث تحريف في المسـيحية واليهودية ولهذا بعض مبادئها ليسـت مما أمر بـه الله سـبحانه وتعالـى. وأتمنى أن تطبق الفرق الإسـلامية مبدأ من أيـن جاءت مبادئك؟ لا مـاذا تقول؟ والغريب أن كثيرين من البشـر وكثير من المسـلمين لا يتوقفون كمـا يجب عنـد صحة المنبع مما يقلـل كثيرا جدا من الوصـول إلى الحق في القضايا الفكرية الأساسـية والاجتهادية وتذكروا أنه لو سـألنا ماركس من أين جاءت مبادئك سيقول من عقلي ومن تأملي في التاريخ وكذلك سيقول هتلر وغير هؤلاء سيقولون قولهم ومن الضياع أن نناقشهم في محتوى مبادئهم إلا فـي حالات قليلة ولو قلنا لهـم أن منبعهم خاطئ وأن "الأدلـة العقلية" تثبت جهل من نفى الخالق سيسـقط البنيان الشيوعي كله والطريف أن الشيوعية على جهلها الشـنيع "أعقل" من العلمانية الرأسـمالية لأنهـا حاولت أن تعتمد على أدلـة عقلية تثبت عدم وجود إله أما الرأسـمالية العلمانيـة فلا يوجد لها منبع أبدا إلا أوهـام الناس أن منبعها العقل وهو كلام مرفوض لأنه لا يوجد عقل واحد يحتكم إليه بل يوجد عقول بعدد السـكان الطبيعيـين في الكرة الأرضية وإذا كان للعلمانية الرأسـمالية دليل تسـتند عليه فهو أن الدين المسيحي خطأ

وأن العلم المادي أثبت خطأ بعض ما تقول بالدليل القطعي وهذا صحيح ولكن هذا بحد ذاته ليس دليلاً على أن الرأسمالية الغربية على حق فهي ليست قائمة على أي دليل علمي أبدا بل تحاول أن تركز على الشعارات والمبادئ العامة واثبات خطأ الآخرين بالحق والباطل وإذا أضفنا إلى ذلك أن العلم المادي الذي أثبت وجود انحراف في المسيحية يلتقي مع الإسلام الذي أثبت وجود انحراف فيها قبل العلم المادي بعشر قرون ورفضها كدين وأضفنا إلى ذلك أن العلم المادي لم تثبت حقائقه الكيمائية أو الفيزيائية أو الإحيائية أو غيرها أبدا أن فصل الدين عن الدولة حقيقة علمية وكذلك الأمر بالنسبة للاحتكام للشعب في تحديد المبادئ الصحيحة وهو بريء من كل ما تقوله العلمانية من مبادئ ومعاني للحرية والعدل والمساواة لأن هذه الأمور لا تدخل ضمن مجالات العلم المادي إذا أدركنا هذا سنعرف أن العلمانية الرأسمالية هي أكبر عملية تزوير عاشتها البشرية خلال العصر الحديث. والغريب أن هذه العملية لا زالت مستمرة وبنجاح كبير مع أننا دخلنا القرن الواحد والعشرين والمطلوب أن يتعمق عقلاء البشر في هذه القضايا الفكرية حتى يستطيعوا أن ينزعوا ثوب العقل عن الجهل العلماني فيعرف الناس كم كانوا مخدوعين.

العلم يتبرأ من العلمانية

من أكبر الأوهام التي تعيشها البشرية هي الظن بأن العلمانية قائمة على العلم والعقل فالعلم المادي بريئ من العلمانية برأءة الذئب من دم يوسف عليه السلام فلم يثبت علم الكيمياء أن فصل الدين عن الدولة حقيقة علمية ولم يثبت علم الفلك أن الزنا جزء من الحرية الشخصية ولم يثبت علم الطب أن العقائد قضايا هامشية لا يجوز أن تشغل اهتماماتنا ولم يثبت علم الفيزياء أن المعاني التي وصلت إليها العلمانية للحرية والعدل والمساواة هي المعاني الصحيحة وهكذا. أما العلم الفكري وهو الذي جاء في القرآن والسنة وقبلهما في الرسالات السماوية اليهودية والمسيحية قبل تشويههما فهو يقول توحيد الله ومعرفته وذكره وطاعته وعبادته هو أهم شئ في الحياة وليس قضية هامشية والعلم الفكري يعتبر فصل الدين عن الدولة كفراً واضحاً وصريحاً والعلم الفكري يأمرنا بتطبيق الشريعة الإسلامية في حياتنا الاجتماعية والسياسية....الخ فالعلم الفكري يتبرأ أيضا من العلمانية أما كون الدول العلمانية الغربية متطورة في العلوم المادية فهذا لأسباب لعل أهمها التنافس العسكري والاستعماري والاقتصادي بين هذه الدول وشركاتها وهذا التطور العلمي التكنولوجي يتحقق في دول بوذية وشيوعية وإسلامية فالذي يصرف أموالاً كثيرة على البحث العلمي يتطور فيه وهناك دول علمانية كثيرة متخلفة تكنولوجيا فالعلمانية ليست هي التي صنعت التطور في العلوم المادية وهذا لا ينفي تشجيعها له. وأضيف إلى ذلك أن العلم المادي فيه علماء والعلم الفكري (الإسلام) فيه علماء ولا يتكلم في العلم بشقيه إلا من درس فيه ونال

شـهادة فهو علم له أصوله وأسسـه أما العلمانية فليست لديها علماء ولا حتى مراجـع معتمدة من أهلها لأنه ليس لديها علم فالعلمانيون الكبار من فلاسـفة ومفكرين متناقضون حول كل شئ فحتى وجود الله سبحانه وتعالى يختلفون فيه أي لا يعتبرونه حقيقة علمية وفيهم الرأسـمالي والاشـتراكي والشـيوعي والوجودي.....الـخ وهـم يختلفون حول معاني العدل والحرية والمسـاواة وحول القضايا الاجتماعية وغير ذلك وهذا الجهل العلماني شـجع العلمانيين علـى الحديث في كثير مـن المجالات وتقـديم أراء هزيلة وليـس علماً فتجد كثيـراً من الأفراد العلمانيين وخاصة المثقفين يتحدثون في العقائد والتاريخ والسياسـة والحياة الاجتماعية وهم لا يدركون أمانة العلـم وأهميته فالعلم عندهـم كلام وآراء ووجهات نظر شـخصية ويحتمل الصواب والخطأ فيكفي في اعتقادهم أن يقرأ العلماني كتاباً أو كتابين في موضوع ما حتى يكتب في جريـدة أو يتحدث في تلفاز وهذا الجهل العلماني أضر العلم كثيرا فالعلمانية هي منبع الجهل في أصولها وفروعها وتجد العلماني صاحب شهادة الدكتوراه في الهندسـة يتكلم في الدين أو السياسـة أو الاقتصاد وأوضح نماذج الجهل العلماني هو عندما يتحدثون عن الإسلام فمن أول حديثهم تعرف أنهم جهلاء وسـطحيون ولا يعرفـون التوحيد من الكفر ولا يعرفون الفرق بين الشـريعة والفقه ولا يعرفون سـيرة الرسـول ﷺ فهم يتحركون بناء على عواطفهم أو معلومـات خطأ أو فهم خطأ وكل بضاعتهم هي نقد الآخرين وعدم تقديم بديل غير الوعود والسـراب والآمال التي لم نجدها نجحت في أي دولة عربية ولا حتى أجنبية وأقصد بالنجاح هنا نجاحها الشـامل في تحقيق سـعادة الإنسان وحريته وقربه من الله سبحانه وتعالى وغير ذلك وهذا لا ينفي تحقيق نجاح في

الحرية والمشاركة الشعبية في الرأسمالية الغربية وتحقيق نجاح في المساواة والأممية في الاتحاد السوفيتي الشيوعي. ومن الأسئلة الخطأ وما أكثرها التي تطرح في مجال الدين والعقل والعلم هو "هل نقف مع الدين أم مع العلم إذا حدث تناقض بينهما؟" وأقول الإسلام هو العلم الفكري والعلم المقصود هنا هو العلم المادي فالعلم المادي يتعلق بالكيمياء والفيزياء والطب....الخ والعلم الفكري يتعلق بالتوحيد والشرائع والحياة الاجتماعية والاقتصادية ....الخ فإذا كان لا مجال لأن يقال أن حقائق علم الطب تتناقض مع حقائق الإدارة فكذلك الأمر عندما يقال إذا تناقضت حقائق الإسلام مع حقائق العلم المادي لأنهما لا يتناقضان وما أقوله هو القاعدة وإذا تطرق الإسلام لقليل جدا من الحقائق المادية وظن بعضهم أن في بعضها تناقضاً مع العلم المادي فهذه أوهام فالحقائق لا تتصادم مع الحقائق فأما هناك خطأ في فهم الآية أو خطأ في فهم الحقيقة المادية أما وجود تعارض مع آراء واجتهادات لعلماء مسلمين فالاجتهادات ليست الإسلام وهي تحتمل الصواب والخطأ ولم يقل أحد أن علماء الإسلام معصومون ومن البديهيات أن تتعارض كثير جدا من الاجتهادات الإسلامية مع بعضها بعضا فهذا موجود في كتب الفقه أما القول بأن هناك تناقضاً بين الإسلام والعقل وما يطلق عليه التعارض بين العقل والنقل فهو أمر تطرقت إليه في كتاب "عجز العقل العلماني" ويمكن الرجوع إليه وأكتفي بالقول بأن العقل السليم وليس الضائع أثبت صحة الإسلام (النقل والنص) فلا يمكن أبدا أن يتعارض معه فالإسلام هو العلم الفكري وبالتالي فاستخدام كلمة العلم والدين هو عملية تزوير فلو لم يكن الإسلام حقائق وعلم لما تمسكنا به وإذا كان الإسلام ليس علماً فما هو إذن؟ هل هو أساطير

أو أكاذيب صنعها رجل اسـمه محمد؟ وهذا يعنـي أن كل الأنبياء كاذبون أو أتـوا بكلام هو جهل لأن الدين ليس علماً فالإسـلام عبارة عن حقائق تبين لنا وجود الله وصفاته وأسـماءه ولماذا خلقنا؟ وكيف نذكره ونعبده؟ وأن هناك جنة وناراً وشـريعة يجب أن نتبعها وهناك حلال وحـرام وفيه أخبار كثير من الأنبيـاء وأقوامهم....الخ فهل هذه حقائق أم أكاذيـب إنها بالتأكيد علم نقي قال تعالى: ﴿قل إن هـدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير﴾ (١٢٠) سـورة البقرة وقال تعالى:﴿وأنزل الله عليك الكتـاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما﴾ (١١٣) سورة النساء وقال تعالى: ﴿لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسـولا من أنفسـهم يتلوا عليهم ءاياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ (١٦٤) سورة آل عمران وهذه آيـات واضحة تقول إن القرآن علم واقتناع العلمانية هو أن الإسـلام وغيره من الأديان السماوية خرافات وأساطير يجب أن نبعدها عن الدول والسياسة حتى لا يفسـدهم وهـم لا يصرحون بذلك ولكن بالتأكيـد إن فصلهم للدين عن الدولة هو رفض للديـن واقتناع بأنه ليس علم والدين هو عدو العلمانية لأنه لديـه الحقائـق الفكرية ولأنه قائم علـى حقيقة أن لهذا الكـون العظيم خالقاً عظيماً حكيماً قادراً عليماً علينا معرفته وطاعته وهذا أمر تثبته العلوم المادية كالفلـك والطب والفيزيـاء لأن فيها آيات كثيرة تثبت أن هنـاك خالقاً عظيماً والعلمانية قائمة على أن هذه قضية هامشـية لا تستحق أن ننشغل بها بل علينا أن ننشغل بالاقتصاد والسياسة والتمتع بالشهوات والماديات قال تعالى:﴿إن الذيـن لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيـاة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن

آياتنا غافلون (٧) أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون (٨)﴾ سورة يونس
ومن الأمـور التي تثبت جهـل العلمانيين العرب هو أن تسـألهم لماذا نفصل الإسـلام عن الدولة؟ خاصة وأن النظام الإسلامي لا يضطهد علماء المادة بل يشجعهم ولم توجد لدينا أبدا مشكلة بين علماء الإسلام وعلماء المادة والدول الإسلامية دول مدنية وليسـت دولة دينية بالمفهوم الغربي وهذا وغيره يثبت أن العلمانيون يجهلون الفكر الإسـلامي ويجهلـون التاريخ ويجهلون واقعنا ويثبت أنهم أحد أسباب تخلفنا لأن جهلهم كبير.

الدين والعلمانية

قد لا يعرف كثير من الشباب أنه في أغلب عقود القرن العشرين انتشرت المبادئ الشيوعية وأصبحت الدول الشيوعية تحكم ثلث البشر على الأقل وكانت الشيوعية رمز العدل والمساواة وأمل الثائرين على الظلم والفقراء والمستضعفين من العمال والفلاحين وكانت الجبهة الشيوعية هي الوحيدة تقريبا المعادية للاستعمار والإمبريالية والرأسمالية الأوربية والأمريكية والآن اقتنعت الشعوب الشيوعية بأن الشيوعية التي حكمتها جهل وضلال وأنها قائمة على الشعارات والعواطف وردة فعل خطأ للظلم والاستبداد وهذا الاقتناع لم يحدث في الغالب نتيجة دراسة وتفكير وتعمق ولكن نتيجة للفشل الشيوعي الكبير في مجال الاقتصاد والسياسة فالشيوعية أنتجت الفقر والاستبداد والظلم والنفاق والعنف والأنظمة البوليسية مما جعل الشعوب تقتنع أن الرأسمالية أرحم وأفضل حتى لو كانت سيئة وما يهمنا هنا هو بيان أن الشيوعية مبدأ علماني مائة بالمائة بل أكثر التزاما بالعقل الضائع من الرأسمالية فهي أكثر صدقا والتزاما بالمبادئ "الأوهام الفكرية" التي وصل إليها العقل الشيوعي في حين أن منهج الرأسمالية قائم على بعض المبادئ التي وصل إليها العقل الرأسمالي مخلوطا مع مبادئ المصلحة ومبادئ الشهوات ومبادئ التعصب العرقي لأن العلمانية الرأسمالية تتعايش فكريا مع الانحرافات بل هي جزء من الفكر الرأسمالي فهي تعتبر بعض هذه الانحرافات باطلاً ولكن لا تحاربها كالخمر والزندقة وتعتبر بعضها حقاً كالربا والإلحاد والزنا أما الشيوعية فتطبق ما اقتنعت به فتجدها مثلا مقتنعة

بفساد الانتماء العرقي سواء كان انتماء للون أو لقومية أو وطن ولهذا تجدها متمسكة بالأمية وتجدها مقتنعة بأن الأديان خرافة وباطل ولهذا تحاربها تعليميا وإعلاميا ولا تجاملها كالرأسمالية وتجد الشيوعية تحارب تعري المرأة والمجلات الجنسية ولا تقبل حلولاً وسطاً مثل الرأسمالية التي تقول هذا الباب مفتوح من أراد أن يدخل فليفعل ومن أراد أن يمتنع فليفعل فالعلمانية الرأسمالية في مواضيع كثيرة ليست قائمة على علم أو جهل أي حق وحقائق أو باطل وأكاذيب بل هي ضائعة جاهلة مائعة منافقة وكانت الشيوعية تتشدق بالعلم والعلمية وتسمي نفسها الاشتراكية "العلمية" وتقول إنها تعتمد على العلم المادي في الوصول إلى مبادئها فالمبادئ التي لا تثبت من خلال التجربة والمشاهدة والاستنتاج هي مبادئ باطلة لا علمية فيها وليس هذا مجال مناقشة الشيوعية بل المهم بيان أن الرأسمالية والشيوعية هما مبدءان علمانيان وأن ما يقدمانه من أدلة "علمية" تثبت صحة المبادئ المنحرفة فيهما (لأنه ليس كل ما يقولانه هو باطل) هي أدلة مزورة فمثلا الأدلة التي تقدمها الشيوعية في نفي وجود الخالق وفي رفض الأدلة التي يقدمها المؤمنون بوجود الله سبحانه وتعالى أدلة خطأ يرفضها العلم المادي والفكري ولا يقول بها إلا قليل جدا من الفلاسفة والمفكرين فالأغلبية الساحقة من عقول البشر مقتنعة بوجود الله سبحانه وتعالى أما الرأسمالية فهي لا تنكر وجود الله بل كثير من الرأسماليين يؤمنون بوجود الله ولكنهم يكفرون بما يترتب على هذا الإيمان من ضرورة معرفة الدين الصحيح من الأديان الموجودة وضرورة اتباع هذا الدين ويحاولون أن يقنعوا الناس أن هذه قضايا هامشية أو شخصية أو غيبية لا يمكن حسمها أو لا علاقة لها بالدولة

والسياسة وأن الالتزام بالدين يؤدي إلى التعصب وتعطيل العقل والتفكير أو غير ذلك فهم يفصلون بين الله والدين فيعلنون ولاءهم (أو أغلبهم) لله وكفرهم بالدين بل يحاولون أن يقنعوا الناس أن الإيمان بالله يعني فقط الإيمان بوجوده وهذا إما جهل عظيم بالدين أو كذب مقصود . فالدين الصحيح يبين لنا أسماء الله سبحانه وتعالى وصفاته ولماذا خلقنا؟ وكيف نعبده؟ ويبين لنا معاني العدل والحرية والمساواة وكثيراً من القوانين "الأحكام" التي علينا الالتزام بها سواء على مستوى الفرد أو الدولة فالدين هو الحقائق الفكرية وهو العلم الفكري وهو المبادئ الصحيحة والعقل العلماني الرأسمالي يريد أن يتعامل مع الأديان كأمر واقع أو كعنصر من مكونات المجتمع ويعتبر بها جوانب خير وجوانب شر فيحاول أن يتعايش معها وهذا جهل عظيم لأن الدين الصحيح هو حق كله وخير كله لأنه جاء من الله سبحانه وتعالى العليم الحكيم أما الأديان المنحرفة كالأديان السماوية التي تم تشويهها أو أديان صنعها البشر فيجب رفضها أي لو كان العقل العلماني الرأسمالي عقلا سليما لدرس بتعمق كل الأديان بل كل المبادئ والعقائد الدينية والعلمانية وحدد بوضوح وصراحة الحق من الباطل فيها والتزم بالحق ولكنه لم يفعل وبالتأكيد أن من لم يصل إلى الحق "العلم" لا زال يعيش في الباطل "الجهل" والطريف أن العقل العلماني يقول أنه لا يعلم بل يعترف أنه عجز بأسلوبه العلماني عن الوصول إلى الحقائق الفكرية ومع هذا يدعو الناس لاتباع مبادئه مع اعترافه أنها آراء شعوب وأفراد وليست حقائق علمية ومما زاد الطين بلة أن العلمانية الرأسمالية بأسلوبها الفلسفي الاتهامي الهجومي تنتقد كل الأديان وتتهمها بالجمود والتعصب والسطحية وكذلك تفعل مع الشيوعية وغيرها من المبادئ

العلمانيــة وفي نفــس الوقت تقول لا أعرف أين الحــق ؟ وإذا كانت العلمانية تعرف أن فصل الدين عن الدولة رأي يحتمل الصواب والخطأ فليس من العقل أن تجعله أساس بناء فكرها لأن الأساس سيكون ضعيفاً وإذا أضفنا إلى ذلك أن العلمانية الرأسمالية الأوربية والأمريكية وصلت إلى مبادئها واقتناعاتها النهائية قبل أن تعرف الإسلام وأنها حتى يومنا هذا لا زالت تجهل الإسلام لأنهــا تنظر بدونية لكل مبادئ العالم الثالث وشــعوبه فالصوت العالي اليوم هو صوت التعصــب العرقي والقوة المالية والتكنولوجية والعســكرية وليس صــوت العقل والعلم .وتذكــروا أن العلمانية الغربية تتعامــل مع الدين كأنه ليس رســالة الله سبحانه وتعالى للبشر تلك الرسالة التي حملها الأنبياء رسل الله وهم أفضل البشــر وتلك الرســالة التي التف حولها كثير من عقلاء البشر وأفضل البشــر إخلاصا وأخلاقا وعملا وتذكــروا أن العلمانية هي اللادينية أي الاتجــاه المعاكس والرافض للدين حتى لو كان الدين صحيحاً وهي تفعل ذلك لأن عندها كل الأديان باطلة يجب أن تفصلها عن الدولة والسياســة حتى لا تفســدهما وهذا جهل عظيم وكفر واضــح لأن الحل لن يكون الاحتكام للعلم والنور الذي جاء به الأنبياء بل لما يقرره الشــعب على مستوى الدولة والفرد علــى مســتوى الحياة الشــخصية وإذا كانت مبــادئ الإيمان وأحــكام الدين مرفوضة فلا شــك أن الساحة ستفتح لمبادئ الكفر والجهل والظلام ومن شاء أن يقتنــع فاقرءوا ما قاله فلاســفة ومفكرو الغــرب العلمانيين خلال الثلاثة قــرون الأخيــرة حتى تجدوا كثيــر من المبــادئ التي تعــارض عقائد الدين وأخلاقــه وأحكامه حتى وصلنا إلــى أن قبلت بعض الــدول الغربية الزواج المثلي وأصبــح الضلال العقائدي والأخلاقي هو الســائد عندهم وهذا وضع

يزداد كل يوم سـوء ولنعلم أن الفلسفة والعلمانية وجهان لعملة واحدة وهذا مـا يجهله الكثيـرون وتحاول العلمانيـة جهلا أو كذبا إقنـاع الناس أنها لا تعـارض الدين فهي منهج سياسـي اقتصادي والدين منهـج عقائدي عبادي وحقيقة الأمر أن الإسـلام توحيد ومبادئ وفلسـفة للحيـاة وكذلك الأمر مع العلمانية فهما منهجان متصادمان متناقضان وليسـا متكاملين فكلمة دين في اللغة العربيـة هي المنهج وأسلوب الحياة قال تعالى: ﴿قل يا أيها الكافرون لا أعبـد مـا تعبدون ولا أنتم عابدون مـا أعبد ولا أنا عابد مـا عبدتم ولا أنتم عابـدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين﴾ أي لكـم دينكم الذي صنعتموه بآرائكم وشـهواتكم ومصالحكم ولي دين واحد يعتمد على الحقائق الفكرية أي النور والهدى وتعمل العلمانية على تشـويه الإسـلام بوسـائل كثيرة منها أن الحل لاختـلاف الأديـان أن نعزلها ونبعدها عن السياسـة وأقـول نحن ندافع عن الإسـلام فقط والمطلوب ليس إيجاد حل وسط بين الأديان بل معرفة من منها دين صحيح ومن منها دين باطل فهذا ما يدعو له العقل السـليم لأن هذا معناه أن نرفـض الديـن الصحيح الذي يؤيـده العقل والعلـم لأن أصحاب الأديان الباطلة لا يريدونه وأقول الدين الصحيح هو العمود الفقري لتجميع المخلصين والعقلاء لا أن تبقى البشرية متمسكة بميراث شعوبها من أديان خطأ أو عقائد علمانية أو عادات سيئة خاصة أن مهمة العقل البشري الأولى هي إنقاذ الناس من الظلمات وهذه هي المهمة العظيمة التي قام بها الأنبياء وأمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين به بها قال تعالى: ﴿ادع إلى سـبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسـنة وجادلهم بالتي هي أحسـن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلـم بالمهتدين﴾ (١٢٥) سـورة النحل فالعلمانية تريـد أن تقف من الأديان

موقفاً محايداً وتعتبر هذا عدلاً وإنصافاً في حين أن العدل هو أن تدرس هذه الأديان بالعقل وتحدد الحق من الباطل ويجب أن نعلم أن الإسـلام لا يحارب الناس لأنهم كفار أو لم يؤمنوا بالإسـلام بل يحارب من يقف في سـبيل نشر الإسلام أي الحقائق الفكرية في حين أن الحروب العلمانية هي حروب مصالح وعلو في الأرض وتعصب عرقي كما شـاهدنا خـلال الأربعة قرون الأخيرة وما يقال عن الإسـلام يقال عن المذاهب والفرق الإسلامية وأقول المطلوب أن ندرسـها ونعـرف الحق من الباطـل فيها وأضيف إلى ذلـك أن أغلب غير الصحيـح منها أرقـى بكثير مـن العلمانية الرأسـمالية في عقائـده وأخلاقه وأحكامه ويكفي أنه يريد رضى الله سـبحانه وتعالى في حين أن العلمانية لا تريد هذا أبدا وليسـت لديها حتى منهج لتحقيقه والعلمانية تجعل نفسها البديل لاختلاف الأديان بل تجعل نفسـها البديل حتى لاختـلاف أبناء الدين الواحد والمشـكلة أن العلمانيـين فيما بينهم أشـد اختلافـا بكثير مما بين المسـلمين فالعلمانيون ليسوا جميعاً مؤمنين بوجود الله وليسوا جميعاً مؤمنين بالرأسمالية وليـس كل الرأسـماليين ديمقراطيـين وهكذا فـآخـر من يحق لـه التكلم عن الاختـلاف هـم العلمانيون ومـع أن اختلافاتهـم اجتهادية فـي نظرهم فهم يتعصبـون لها ويوجهون الصواريـخ النووية لبعضهم بعضـا كما حصل مع أمريكا والاتحاد السوفيتي وكما حدث في الحربين العالميتين الأولى والثانية وهـي حروب بـين دول علمانيـة لا دينيـة والعلمانية ترفض حتـى المبادئ المشـتركة بين الإسـلام والمسـيحية أي اتفاقهما حول معرفـة الله وعبادته وطاعتـه وتحريم الزنا وغيـر ذلك وهذا يثبت أنها مبدأ مناقض لهما وليسـت حتى حل وسط والغريب أن العلمانية ترفض حتى أن يكون الدين أحد مصادر

التشـريع حتى لو كان الشعب كله مسـلمين أو مسيحيين فكأن الدين لا يأتي إلا بالجهـل والظلم فهي لا ترضـى حتى بأن تؤمن ببعض الكتـاب وتكفر ببعض وهـذا بحد ذاته كفر كما جاء فـي القرآن الكريم والعلمانية تتبنى كفرا أشـد وضوحا وصراحة منه . ويظن بعضهم أن المسلمين يفهمون العلمانية بطريقة خطـأ فالعلمانيـة ليسـت اللادينية بل هي فصـل الدين عن الدولة والسياسـة وتطـورت العلمانيـة مع مرور السـنين وأصبحت على علاقة طيبـة مع الدين ويعتقد هؤلاء أن الشـيوعية هي اللادينية الكافرة وهي التي تحارب الدين أما العلمانية فهي مؤمنـة بوجود الله وكثير من العلمانيين يتمسـكون بالدين في حياتهم الشـخصية والعقائدية فيصلون ويصومون ويذهبون إلى المسـجد أو الكنيسـة وأقول الإيمان بوجـود الله فقط ليس إيمانـاً صحيحاً فكفار قريش كانوا يؤمنون بوجود الله وكانوا يعبدون الأصنام حتى تقربهم من الله ومع هذا هم كفار وكيف يكون الإنسان مسلما وهو يعتقد أن عليه أن يطيع الله فيما يتعلـق في حياته الشـخصية وبعـض العقائد ويكفر بما أمرنـا الله في مجال التشـريع والسياسـة والاقتصاد وبالتأكيـد أن هذا ليس الديـن الذي جاء به موسـى وعيسـى ومحمد صلوات الله عليهم ولو كان هذا هو الدين لما حصل الصدام والصراع بين موسى وفرعون وبين محمد وقريش والآيات القرآنية صريحة في ذلك قال تعالى: ﴿أفتؤمنـون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جـزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما يعملون﴾ (٨٥) سورة البقرة وقال تعالى:﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون (١٨) إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي

المتقين﴾ (١٩) سـورة الجاثية. والمسـلم الذي لا يعرف أن فصل الإسلام عن الدولة أو السياسة كفر هو مسلم جاهل لا يعرف الإسلام أو لا يعرف العلمانية أو لا يعرفهما معا وعليه أن يقرأ القرآن ويسأل العلماء فالعلمانية تقبل الدين (الإسلام) إذا استسلم لها وترك الدولة والسياسة والاقتصاد واكتفى بالصلاة وأحـكام الزواج والجنائـز والحيض والنفاس . فالدولة العلمانية ليسـت مع التوحيـد والإيمان ضد الكفر والشـرك وليسـت مع المؤمنين ضـد الزنادقة والكفار ولنتأكد أننا إذا لم نكن كمبادئ وأفراد في معسكر الله ورسوله وكتبه فنحن في معسكر الشيطان والكفر فلا يوجد موقف محايد أما في جانب الدولة والسياسة فالعلمانية تفصل الدين عن الدولة وفصله رفض صريح وإذا أبعدنا الحق وفصلناه فلا شك أننا نعيش في الباطل ونتبعه وتتبع مبادئ الإسلام من قـال الله سـبحانه وتعالى وقال رسـوله وتتبع مبادئ العلمانيـة من أقوال الفلاسفة ونتائج التصويت والآراء الشخصية والحلول الوسط والإسلام قائم على تعظيم الله سبحانه وتعالى وعبادته وطاعته وتعتبر العلمانية هذه القضايا هامشية وأحيانا أساطير وخرافات ورجعية ويدعو الإسلام للأخلاق الفاضلة وتسمح العلمانية بالفساد الأخلاقي باسم الحرية الشخصية وكل هم العلمانيين الدنيا والمال والسياسـة والاقتصاد والتمتع بالملذات قال تعالى: ﴿فاعرض عـن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحيـاة الدنيا (٢٩) ذلك مبلغهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى﴾ (٣٠) سورة النجم فالعلمانيـة تحارب ما يدعو له الدين مـن دون أن تعلن صراحة هذه الحرب وما تفعلـه العلمانية هو كذب وغش وخداع للناس وللأسـف أنها نجحت في خداع كثير من بني آدم ومن وسائل خداعها أنها تقول فصل الدين عن الدولة

ولا تقول فصل الإسلام عن الدولة لان هذه العبارة تكشف حقيقتها وإذا كان العمود الفقري للعلمانية هو فصل الدين عن الدولة وليس فصل الزندقة والكفر أو الفسق عن الدولة أليس هذا يجعلنا نرى صورة الكفر واضحة وتكتمل صورة الكفر العلماني إذا رأينا كيف يشوه العلمانيون صورة الملتزمين بالإسلام ويتهمونهم بالإرهاب والتطرف مع أن المتطرفين لا يشكلون حتى ١٪ من المسلمين الملتزمين ولا بد من توضيح أن الدولة الإسلامية دولة مدنية ذات مبادئ إسلامية وليست دولة دينية بالمفهوم الغربي فهي دولة لا يحكمها علماء الإسلام بل يحكمها من يختاره الشعب ومن يحكم بها لا يتكلم بالنيابة عن الله بل هو بشر يخطئ ويصيب ويمكن أن يعزل كما أن الحكم شورى (ديمقراطية) وما تلتزم به الدولة هو الإسلام أما الاجتهادات الإسلامية فتقبل أو ترفض ويقرر ذلك المسلمون من خلال التصويت أو غيره وفي الدولة الإسلامية مكان كبير للأقليات غير المسلمة حتى في مجال السياسة ولا يفرض الإسلام على غير المسلمين وتسمح الدولة المسلمة لهم بممارسة عقائدهم وعباداتهم.

خدعوك يا شرويدر

قال المستشــار الألماني غير هارد شـرويدر في مذكراته التي نشرت في جريدة القبس في الحلقة الثانية بتاريخ ٢٩ أكتوبر ٢٠٠٦ "وكان هذا سـبب مشـكلتي مع الرئيـس الأمريكي الـذي كان عنده إيمان وعقيدة راسـخة بأن قراراته السياسية تأتي نتيجة صلاته وحديثه مع الرب" وقال "وعندما يدعي الطرفان(الأصولية الإسلامية والأصولية المسيحية) امتلاك الحقيقة الصحيحة والوحيدة فإنه سـوف يكون من الصعب وجود ملتقى للحلول السـلمية" وقال "وأنا أعتبر أن العلمانيــة (فصل الدين عن الدولة) هو تقدم كبير" للحضارة الإنسانية "وأقول تعليقا على ذلك:-

١- إذا كان الرئيس بوش الإبن يتحرك في حروبه ضد أفغانسـتان والعراق وغيرهما تنفيذا لأوامر الله سبحانه وتعالى فعلى كل المؤمنين أن يؤيدوه لان الله سبحانه وتعالى لا يأمر إلا بما يفيد الناس أما إذا كان يتحرك بناء على مصالح أمريكية غير مشروعة فالواجب أن يتم معارضته وردعه لأنه لا ينفذ أوامر الله سبحانه وتعالى والحرب التي يأمر بها الله سبحانه وتعالى هي حرب لنشر التوحيد والإيمان والعدل والمبادئ الصحيحة وليس هدفها استعمار الشعوب أو استنزاف الثروات أو العلو في الأرض.

٢- حدثت عشــرات الحروب خلال القرن العشرين وأغلبيتها الساحقة لم تكن حروبــاً دينية بل كانــت حروباً بــين دول علمانية فهي حــروب دوافعها مصالح مادية أو عصبيات عرقية أو صراعات فكرية علمانية كما حدث بين الرأسـمالية والشـيوعية فالحروب العلمانية هي أكثر وأسوأ من الحروب

الدينية بدليل أن الحربين العالميتين الأولى والثانية هي حروب بين دول علمانية ونحن نرفض كل الحروب الدينية التي خلفها عقائد دينية غير صحيحة أو مشوهة سواءاً كانت بسبب أديان سماوية أو غير سماوية فالربط بين الدين الصحيح وكثرة الحروب ربط ظالم والعكس صحيح أي أن العلمانية هي أم الاختلاف والصراعات والفتن والحروب.

٣- الدين الصحيح مع الأمن والسلام ولا يدعو لقتال الآخرين فالإسلام والمسيحية وهما اكبر دينين لا يدعوان لقتال بعضهم بعضا فالله سبحانه وتعالى حرم علينا قتال من لا يعتدي علينا إلا إذا حاربوا ديننا أو منعوا تبليغه للناس فالتاريخ يشهد بأنه كان ولا زال يعيش في الوطن العربي ملايين المسيحيين في مصر والشام منذ ألف وخمسمائة سنة وعاش ملايين المسيحيين في الخلافة العثمانية وفي الدول الأموية في الأندلس فالعلمانية تحاول إقناع البشر بأن السلام مستحيل إذا تمسك أصحاب الأديان السماوية بمبادئهم وهذا فيه جهل بالإسلام والمسيحية والواقع وفي نجران في المملكة السعودية يوجد مسيحيون عاشوا في أمان ولا تحاربهم القبائل المسلمة ولكن كثيرا ما تتحارب هذه القبائل مع بعضها بعضاً ويعيش اليهود في اليمن منذ قبل الإسلام حتى يومنا هذا كمواطنين يمنيين والتشابه والتقارب بين الإسلام والمسيحية أكبر بكثير مما هو بين المسيحية والعلمانية أو بين الإسلام والعلمانية وأكبر عقيدتين في الأرض متقاربتان هما الإسلام والمسيحية وليس الإسلام والبوذية أو المسيحية والهندوسية أو الرأسمالية والشيوعية مع انهما عقيدتان علمانيتان والإسلام يسمي المسيحيين واليهود أهل كتاب ويقبل أن يتزوج المسلم من

مسيحية في حين أنه يعتبر العلمانيين كفاراً ومشركين فالعلمانية فرقت البشر ولم توحدهم فهل هذا هو التقدم الكبير للحضارة الإنسانية الذي قال عنه المستشار شرويدر .

٤- كنت ولا زلت أطالب عقلاء البشر بأن يدرسوا الأديان السماوية والعقائد العلمانية ويحددوا الحق من الباطل فيها فإذا كانت المسيحية هي الدين الحق فعلينا اتباعها وإذا كانت الرأسمالية هي الفكر الصحيح فعلينا الالتزام بها وهكذا أما الهروب من حسم الاختلاف بالعقل والعلم كما تفعل العلمانية فهو ليس حلا صحيحا وإذا كان كل طرف يدعي أنه يملك الحقيقة الوحيدة كما قال المستشار شرويدر فهذا شيء طبيعي ومتوقع والمطلوب أن يسعى العقلاء للبحث عن الحقيقة لا أن يؤمنوا بعقائد دينية للآباء والأجداد أو بعقائد علمانية لفلاسفة أو دول دون تعمق ودراسة ويقين.

٥- إذا كان الإنسان استخدم عقله في الوصول إلى الحقائق المادية في مجال الفيزياء والكيمياء والجيولوجيا والأحياء والطب والزراعة.....الخ واستفاد منها في صناعة الطائرات والسيارات وزراعة الحبوب والفواكه وعلاج الأمراض واستخراج النفط والمعادن....الخ وإذا كان تمسكه بالحقائق المادية والدفاع عنها أمراً صحيحاً ولم يضيق من مساحة التفكير والاجتهاد العقلي فإن العلمانية تريد منا أن نقتنع أنه لا توجد حقائق فكرية في مجال العقائد والمبادئ سواء الدينية أو العلمانية وتعتبر من يقول إن مبادئه صحيحة ويتمسك بها جهل وتعصب وتخلف علمي ولا يستخدم عقله في التفكير والاجتهاد والتمسك بالمبادئ الصحيحة لا يعارض الواقعية في مجال حل الصراعات السياسية فالدين لا يفسد السياسة كما تدعي العلمانية

بل يدفع الحلول السياسية قدر ما يستطيع باتجاه العدل والرحمة والتسامح، والفاسدون من السياسيين هم الذين يريدون سياسة بلا دين أي سياسة بلا مبادئ صحيحة أي سياسة تتحكم بها القوة والكذب والغدر والظلم ويعتبرون الفائز فيها هو الذي حصل على أكبر قدر من المصالح سواء كانت هذه المصالح أموالاً أو مناصب أو شهرة.

٦- تظن العلمانية أن إضعافها للدين سيؤدي إلى القضاء على التعصب الديني أو يضعفه وهذا قد يكون صحيحاً في حالات كثيرة ولكن القضاء أو إضعاف التعصب الديني يتم بمعرفة الدين الصحيح ثم بيان الدين الصحيح بصورة صحيحة حتى لا يستغله المتطرفون والجهلاء لأن الدين الصحيح جاء من الله سبحانه وتعالى وهو يحقق الإصلاح الحقيقي وإبعاد الدين كما شاهدنا يؤدي إلى نشوء عصبيات كثيرة أولها العصبيات العرقية من قومية ووطنية وقبلية وثانيها التعصب للمصالح والماديات والشهوات المحرمة وثالثها التعصب للمبادئ العلمانية من شيوعية ورأسمالية واشتراكية وزندقة وإلحاد.....الخ فالتعصب زاد مع العلمانية ولم يقل فهل هذا هو التقدم الكبير للحضارة الإنسانية الذي قال عنه المستشار شرويدر.

٧- من أول الأعمال التي قام بها الرسول ﷺ عندما هاجر إلى المدينة هو عقد تحالف مع اليهود ضد الكفار ثم بعد ذلك حارب من خان منهم ولم يحاربهم لأنهم يهود كما أن المسلمين يعتقدون أن عيسى عليه السلام نبي وتوجد سورة كاملة باسم مريم رضي الله عنها وآيات كثيرة عن موسى عليه السلام بل ورد اسم موسى عليه السلام في القرآن أكثر بكثير مما ورد اسم محمد ﷺ والشاهد أن مبادئنا الإسلامية امتداد للرسالات السماوية في عقائدها

وأخلاقهـا ولا نحــارب الناس لأنهم مسـيحيون أو كفار بــل نحارب من يحاربنــا أو يعتــدي علينا أو يمنعنا من إبلاغ الإســلام للنــاس وقد غلبت الفرس الروم في عهد الرســول ﷺ فحزن المسلمون لأن الكفار انتصروا علــى أهل الكتاب قال تعالى: ﴿الم (١) غلبــت الروم (٢) في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم ســيغلبون (٣) في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون (٤) بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم (٥)﴾ ســورة الروم ولو كنا نريد قتل المسيحيين لما بقي مسيحي واحد في مصر أو بلاد الشــام ولو كنا نريد أن نعاملهم كما عامل الأسبان المسلمين في بلاد الأندلس أو الصرب مع مســلمي البوسنة والهرسك لاستطعنا ولكن مبادئنا الإســلامية تمنعنا وعاش المسيحيين واليهود في أمان في الخلافة العثمانية بل ســاعدت الخلافة العثمانية اليهود عندما تعرضوا للاضطهاد فــي أوربا وقد لا يعرف الكثيرون أن الخليفة العثماني محمد الفاتح الذي فتح القسطنطينية كانت أمه مسيحية فالعلمانية تستغل تطبيقات غير سليمة من المســلمين أو المســيحيين أو تفهم بعض الحروب بصورة خطأ وتحاول أن تقنع الناس أن الابتعاد عن الأديان يحقق الخير والسلام.

٨- في القرآن الكريم والأحاديــث النبوية آيات صريحة وأحاديث واضحة تنتقد الانحرافات التي حدثت في اليهودية والمســيحية وعند الكفار وحتى عند المســلمين عندما يخطئون فتسمية الأسماء بأسمائها الصحيحة التي أمر بها الله ســبحانه وتعالى مطلــوب فإذا قال الله ســبحانه وتعالى عن هذه العقيدة بأنهــا كفر وأن من يحاربون أنبياء كفار فهــذا ليس تعصباً دينياً بل هــذه حقائق فكرية تبين لنــا الحق والنور من الباطــل والظلمات ولكن

العلمانية تقول لا فرق بين مؤمن وكافر ولا توجد مبادئ صحيحة ومبادئ غير صحيحة وتعتبر هذا تسامحاً ورحمة ورقياً وأقول هذا تزوير للمعاني الصحيحة للتسامح والرحمة وهي المعاني التي حددها الله سبحانه وتعالى ونحن لا ندعو لأن نقاتل أو نعتدي على غير المسلمين بل مبدأ الإسلام هو أن الناس أحرار في مبادئهم قال تعالى: ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ وما نطالب به أن يعرف الناس الحقائق الفكرية بصورة واضحة. والمطلوب أيضا أن يبين غير المسلمين عقائدهم بصورة واضحة حتى يحدث حوار بين البشر مبنياً على العقل والعلم ليصل من يريد أن يصل منهم إلى الحق والصواب أما الحل العلماني فهو أيها البشر لا تتعمقوا في العقائد وتجاهلوها بل اصمتوا وجاملوا بعضكم بعضاً ولا شك أن الحوارات الصريحة ضمن الضوابط الصحيحة التي تبعدها عن السفهاء هي طريق العقل والعلم والحوار الذي أمرنا به الله سبحانه وتعالى حوار ليس فيه شتائم أو سخرية من الآخرين ولن يغضب المسلم أو صاحب عقيدة إذا اتهمه الآخرون بالجهل أو الكفر فمن الطبيعي أن من يخالفك يعتقد أنك على باطل فالوصول إلى الحق هو أهم واجبات العقول البشرية وهذا هو ما فعله الأنبياء مع الكفار والجهلاء لا أن نشغل عقول البشرية بإشباع الشهوات أو كسب المال أو مشاهدة الأفلام أو المبالغة في الماديات من مأكل وملبس ومسكن وترفيه أو قراءة القصص والروايات.

أخطر من المخدرات

تقف العلمانية عاجزة أمام الفساد الأخلاقي فهي لا تسعى لمنعه قانونا ولا تعتبره في أدبياتها مخالفاً للأخلاق الفاضلة والحقيقة أنها تشجعه بطريقة غير مباشرة عندما تعتبر الزنا جزءًا من الحرية الشخصية التي يجب حمايتها والدفاع عنها وإذا سلطنا الأضواء العلمية العميقة على الحقائق الواقعية لعلاقة المرأة بالرجل في الغرب العلماني فإننا سنجد الشقاء والتخلف الاجتماعي متمثلا في ارتفاع نسبة العنوسة والطلاق والخيانات الزوجية وجرائم الاغتصاب والإجهاض والأبناء غير الشرعيين والأمراض النفسية والجنسية وانقراض أو شبه انقراض الحب والوفاء والإخلاص والتضحية والزواج الدائم.....الخ وهذا شيء طبيعي لأن الحب والزواج والوفاء لا تستطيع العيش في بيئة الفساد الأخلاقي وتثبت الإحصائيات العلمية هذا الفشل وليس هذا وقت التفصيل فمثلا قد وصلت نسبة الطلاق في الولايات المتحدة إلى ٥٠٪ وهذه نسبة عالية جدا مقارنة بشعوب العالم وما ينطبق على الولايات المتحدة ينطبق على أوربا الغربية وعندما كانت الولايات المتحدة قبل قرن أكثر مسيحية كانت نسبة الطلاق منخفضة وكلما زادت علمانيتها زاد ضياعها وشقاؤها ومما يثبت شقاء المجتمعات العلمانية أن الزوجة الجميلة والشابة تعيش في قلق دائم لأنها تعلم أن بيئة العمل وبيئة الحياة الاجتماعية ملوثة جدا بالفساد الأخلاقي فمن الطبيعي أن ينجذب زوجها للنساء الجميلات والاغراءات لأن لكل جمال جاذبيته فتجدها تعيش في عالم من الغيرة والشك والخوف ومهما صرفت هذه الزوجة على جمالها ورشاقتها ومهما تعاملت

مع زوجها بصورة ممتازة فإن معركتها خاسـرة لأنه من الصعب على الزوج الذي تعود قبل الزواج على الزنا أن يمتنع عنه فالفســاد الأخلاقي شـره أشد بكثير من شـر المخـدرات على المجتمع فإذا كانت هذه حــال الزوجة الجميلة الشــابة فما بالك بأغلبية الزوجــات ذات الجمال العادي أما غير المتزوجات فيعانين من عزوف الشـباب عن الـزواج ويعانين من الوحـدة والخوف من العنوسـة والمسـتقبل ولا يجدون من كثير من الشـباب إلا النظرة الجنسية فلا يوجد حب ولا إخلاص ولا وفاء ولا تضحية ولو سـألنا العقل البشري السليم لقال إن مصلحة الفرد والمجتمع هي في العفاف والاحتشام والحياة الزوجية السـعيدة فهذا ما يريده الأب لابنتـه وما يريده الأخ لأخته ومــا يقوله العقل وهو ما يدعو إليه الإسـلام فلا شـك أن معرفـة الله سـبحانه وتعالى وحبه والخوف من عذابه من أهم العوامل التي تبعدنا عن الزنا كما أن الإسلام يمنع جمال المرأة من التحول إلى فتنة وشـقاء فيحميه بالحجاب والاحتشام ويقلل الاختـلاط مع الرجال للحد الأدنى ويمنـع الاختلاط الرديء والتبرج وإثارة الغريزة الجنسـية من خلال التلفاز والمجلات والجرائـد والانترنت ويأمرنا الله سـبحانه وتعالى بغض البصر وهو أمر مهم جدا كما أن الإسـلام يأمرنا بالانشـغال بطلب العلم وبالاجتهــاد في العمل الأخروي والدنيوي ويشـجع الزواج حتى يتم إشباع الغريزة الجنسية بطريقة شرعية ومطلوب من المسلمين تسـهيل الزواج بكل الوسـائل حتى لو لم يكن لدى الشباب مال يدفعونه كمهر ومــا نجده في واقع كثير من المسـلمين من تعقيد للـزواج بطلب المهر الغالي والمسكن الكبير وغير ذلك هو دليل ضعف إيمانهم وعلمهم بالدين ولنتذكر أن أعداء الإسلام يحاولون ليلا ونهارا نشر الفساد الأخلاقي بين المسلمين بطرق

مباشرة وغير مباشــرة ولهؤلاء أقول قال تعالى: ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ (١٩) ســورة النور وعموما فالفشل العلماني واضح جدا في الحياة الاجتماعيــة في الدول الغربية وهذا الواقــع كتاب كبير مفتوح علينا أن نقرأه وعلينا ألا ننخدع بالصورة السطحية التي يظهرها الإعلام الغربي لهذا الواقع فامرأة بدون زوج صالح خســرت الكثير وفتاة شغلت نفسها بأدوات التجميل والرشــاقة والملابس هي فتاة ضائعة قلقة لأن هذه الأمور ليست الطريق إلى جذب الزوج والاحتفاظ به فالمفاهيم العلمانية للحرية الشخصية ومواصفات الزواج الناجح والزوج المناســب والزوجة المناسبة وغير ذلك كلها مفاهيم غير صحيحة صنعها الجهل والعقول الضائعة فحصدت الشقاء والآلام.

العلمانيون والإسلام المجهول

على الرغم من أن الله سبحانه وتعالى أرسل لنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسولا وعلى الرغم من وجود القرآن وأحاديث الرسول بين أيدينا ووجود علماء الإسلام وكتبهم ووجود عقول لنا إلا أن بعض بديهيات الإسلام مجهولة عند كثير من العلمانيين والمتأثرين بالعلمانية وإليكم الأدلة:-

١- يظن البعض أن الاختلافات كثيرة بين المسلمين وأنهم لا يختلفون عن العلمانيين وأقول الإسلام هو القرآن والأحاديث الصحيحة فالحقائق الإسلامية واضحة جدا والاتفاق عليها أمر محسوم واللغة العربية واضحة جدا أما الاختلافات الاجتهادية فهي أمر طبيعي وصحي ومطلوب وجزء من الإسلام ودليل على مرونة الإسلام وواقعيته وكل عالم مسلم يقول بخلاف حقيقة إسلامية واضحة فكلامه مردود عليه فالمشكلة هي عند هذا العالم لا الإسلام ولا المسلمين والقضايا التي تحتمل الاختلاف سواء في تفسير أية أو حديث أو اجتهاد في حدث سياسي هي أمور مقبولة ويمنع الإسلام أن يتحول الاختلاف إلى صراع أو حتى تنافر وعداوة وإذا حدث بعض ذلك فهو أمر مرفوض حتى لو كان بين الصحابة ووجود الخطأ الاجتهادي لا يعني أن الضياع أصاب الإسلام لأن المبادئ (الحقائق) الإسلامية لا خلاف عليها بل إن "الخطأ" عادة يكون من أقلية ويكون أغلب المسلمين "الملتزمين" مع الاجتهاد الصحيح أقول وأكرر إن الملتزمين بالإسلام عن صدق ووعي لا توجد عندهم مشكلة اختلاف جذري أبدا ولا توجد عندهم حيرة أو ضياع فالعلمانية بمعنى فصل الدين عن الدولة أمر

مرفوض والفساد الأخلاقي أمر مرفوض والربا أمر مرفوض والتبرج أمر مرفوض وترك الصلاة أمر مرفوض أما الاختلاف حول هل الشورى ملزمة أم لا والاختلاف حول الديمقراطية أو الأحزاب السياسية أو مشاركة المرأة في الانتخاب فهذه أمور يمكن الوصول فيها إلى الاجتهاد الصحيح من خلال التعمق في دراستها ودراسة الواقع.

٢- يحسم الاختلاف الاجتهادي بطرق منها الاحتكام لأهل العلم أو الاحتكام للقيادة السياسية أو الحوار بين المختلفين ويقدم كل طرف حججه أو بالتصويت واتباع الأغلبية أو بالتنازل وهذه أمور حدثت في اختلاف الصحابة حول من يخلف الرسول ﷺ وغير ذلك ولا مانع أن تبقى الاجتهادات تعيش مع بعضها بعضاً بمعنى أن الذي يحسم هو من يتعلق بقانون أو قرار. أما غير ذلك فهي أمور لا تحتاج إلى حسم سواء تتعلق بالعبادات أو قضايا اجتماعية ويدعونا الإسلام للبحث عن الأدلة والحجج عند الأطراف المختلفة.

٣- لا شك أنه يوجد قديما وحديثا من يحاول من السياسيين أن يستغل الدين ويقنع الناس أن ما يفعله هو الصحيح فصدام كان يعتبر غزوه للكويت جهاداً وأقول علماء المسلمين الواعين كانوا يعتبرونه فساداً وليس جهاداً ولم يكن عند المسلمين الملتزمين غموض وإذا وجدت حالات شاذة فهذا أمر متوقع فالعقول تختلف والمعلومات التي تصل إلى العقول ليس كلها صحيحة. ومعروف أن الساحة السياسية تؤثر فيها دول وأنظمة متصارعة وعصبيات عرقية ومصالح اقتصادية وعقائد متناقضة ومنافقون وخونة وحمقى....الخ فلا يجوز تحميل هذا التناقض والاختلاف على المسلمين

لأن الإسـلام ضد سـفك الدماء وإشـعال الفتن فحزب البعث حزب علماني علاقتـه بالصلاة بل حتى بعقائد الإسـلام مقطوعة فكيـف يكون منه جهاد وعموما فأهل الكذب من السياسـيين وأهل الدجل من المشعوذين وغيرهم لا يخدعـون إلا من هو جاهل بأساسـيات الدين وبعيد عن علماء الإسـلام ولـو أخذنا موقفاً واجتهاداً أكبر مائة من علماء المسـلمين الكبار لوجدنا أغلبيتهم الساحقة إن لم أقل جميعهم ضد غزو العراق للكويت وبالتالي فلا توجد عند المسلمين مشكلة في معرفة الحق من الباطل والصواب من الخطأ في الأمور الأساسـية والاجتهادية فمن الخطأ القول إن المسلمين اختلفوا حول غزو العراق للكويت.

٤- إذا كانت معرفتنا بالإسـلام قائمة على القرآن والأحاديث الصحيحة فلا توجـد عندنا مشـكلة اختلاف أو حتـى ضبابية أما إذا كنـا نحتكم لأقوال فرق إسـلامية أو صحابة أو علماء أو أحاديـث موضوعة أو حتى ضعيفة أو روايـات تاريخيـة كاذبة وما أكثر هذه أو أقوال مستشـرقين حاقدين أو علمانيين فإننا سـنظن أن هناك تناقضاً في آيات القرآن وأن الصحابة كانـوا أعداء بعضهم بعضاً وأن تاريخنا شـديد السـواد وأننا أسـوأ أمم أهل الأرض قديمـا وحديثا وأكثرها اختلافا وهذه الصورة المأسـاوية غيرموجودة عند المسـلمين الملتزمين الواعين بل عند أغلبية عامة المسلمين واقرءوا إن شـئتم شـعر أمير شعراء العرب أحمد شـوقي رحمه الله حتى تعرفوا كـم كان اعتزازه وفخره بالخلافة العثمانية وهذا لا يعني أنها بلا أخطاء وكان أحمد شوقي مثقفا ومطلعا على ثقافة الإسلام وثقافة الغرب وأقول ليست عندنا كمسلمين أزمة فكرية ولا أزمة اجتهادية.

٥- إذا كان الإسلام هو الحق والصواب والنجاح فإن المسلمين لن يكونوا على حق وصواب ونصر إلا إذا التزموا بهذا الإسلام علما وعملا فعلم المسلمين بالإسلام يختلف من جيل إلى أخر ومن مكان إلى أخر ومن شعب إلى آخر ومن نظام حكم إلى آخر ومن فرد إلى آخر وكذلك الأمر بالنسبة للعمل وقد يكون الالتزام بأحدهما أو كليهما ضعيفا بل غير موجود وقد تنتشر المعاصي والانحرافات من الكذب والنفاق والفساد الأخلاقي والظلم وغير ذلك وهذا واقع مشاهد في كثير من الأفراد قال تعالى: "ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوء يجز به" بل إن انحرافات المسلمين قد تصل أحيانا إلى إخراجهم من الإسلام أي يصبحون مشركين وكفاراً. وصحيح أن المسلمين الملتزمين ليسوا ملائكة ولا معصومين ولكن الانحرافات عندما تكون قليلة واستثنائية فهذا أمر واقعي وطبيعي أما أن تصبح الحالة السائدة ثم نبحث عن ثمار الإسلام في حياة هؤلاء فهذا يناقض الإسلام وأحيانا نجد شعوباً غير مسلمة أفضل في مجال العدل والصدق والاجتهاد في العمل من شعوب تنتسب للإسلام.

٦- لا يجوز للمسلمين أن يقولوا نحن أحرار في أن نلتزم بعقائد الإسلام والشريعة الإسلامية أو لا نلتزم أما إذا لم نكن نريد أن نكون مسلمين فلنفعل ما نشاء ولنعتقد ما نشاء ولنحتكم إلى من نشاء ومعنى هذا أن من بديهيات الإسلام أن أي عقيدة أو قانون أو قرار يخالف الإسلام يضرب به عرض الحائط سواء كان المؤيدون له أغلبية الشعب أو حاكماً أو مجلساً نيابياً أو قوانين دولية أو دولة عظمى أو قبيلة أو حزباً أو أباً فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.